سِلسِلَةُ الدِّراسَاتِ الأَخْلاقِيَّةِ ١

عَوامِلُ الإِنْحِطَاطِ الأَخْلاقِيِّ وَسُبُلُ المُواجَهَةِ

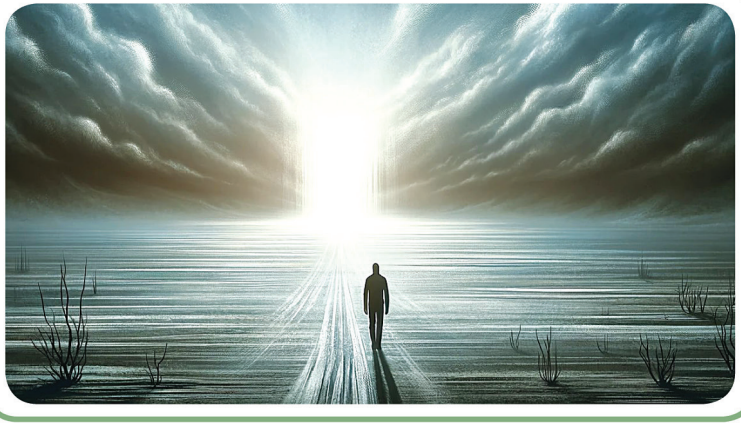

■ زينة الجمّال

مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

■ عوامل الانحطاط الأخلاقي وسُبُل المواجهة

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٤ م - ١٤٤٥هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مَركزُ بَراثا للدّراسَاتِ وَالبُحُوثِ
بيروت - بغداد
Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سِلسِلَةُ الدِّراسَاتِ الأَخْلاقِيَّةِ ١

عَوامِلُ الانْحِطَاطِ الأَخْلاقِيِّ وَسُبُلُ المُواجَهَةِ

زينة الجمّال

مَركَزُ بَراثا للدِّراسَاتِ وَالبُحُوثِ
بَيروتُ - بَغدادُ

سِلسِلَةُ الدِّراسَاتِ الأَخْلاقِيَّة

في عـصر خيّم فيه ظلام النفعية والتفكير المادي ومحورية الأنا، أصبح من الـضروري إعادة تقديم المنهج الأخلاقي الإسـلامي بلغة معاصرة، لا بهدف تقريب سـبل السـعادة المعنوية إلى الشـباب وحسـب، بل باعتبار أنّ النظام الأخلاقي هو حجر الأساس للمجتمع الإسلامي المهدوي.

إنّ إعـادة المباحـث الأخلاقية إلى حـاضرة البحث والتـداول في الفضاء العام الإسـلامي يكتسـب أهمية أخرى مضاعفة من حيث إنّ قوى الإنحراف وعناصر الشرّ والفسـاد قد إزدادت في هذا العـصر، أكثر من جميع العصور السّـالفة؛ فـإذا كان التّحـرك في الماضي في خطّ الإنحراف يكلّف الإنسـان مبلغاً من المال، أو شـيئاً من الجهد، ففي هذا الزّمان أصبحت أدوات الفساد في متناول الجميع.

كذلـك، فبينما كانت المقاييس والموازين الأخلاقية محدودةً في الماضي، إلّا أنّ التوسـع الهائل في العلوم الإنسـانية أنتج مجموعة من الشـبهات التي نالت من الثوابت الفطرية والإنسانية؛ لذلك، نحاول في (مركز براثا للدراسات والبحوث) الإجابة على النقوض الفلسـفية حول أسـس الأخلاق والشبهات المثارة. مسـتهدفين من خلال (سلسلة الدراسات الأخلاقية) تعميق الأخلاق في قلـوب الناس، و تفعيل عناصر الخير في وجدانهـم، والإنتباه إلى الخطر المحيـط بالأخـلاق؛ بحيث إنّ البعـض أنكر فائدتها من الأسـاس، أو ذهب إلى أنّهـا غـير ضروريّـة، والبعـض الآخر تعامـل معها من موقـع المصلحة والبراجماتية، للوصول إلى مطامعه السّياسية.

ومـن لطف الله بنـا، أنّنا نمتلك مصدراً عظيماً للمعـارف الأخلاقيّة، و هو القـرآن الكريـم، الذي لا يُدانيـه أيّ مصدر ديني آخـر في العالم، والموروث الروائي عن أهل بيت النبوّة والذي يتّصف بالغزارة والعمق الفلسفي الأخلاقي.

● مقدمة:

الانحطاط الأخلاقيّ هو عبارة عن ممارسة سلوكات منافية للأخلاق العامّة القائمة في مجتمع ما، والمنبثقة إمّا عن العادات والتقاليد الموروثة التي تحكمه كما هو الحال في العصر الجاهليّ أو عند بعض العشائر والقبائل، وإمَا عن التعاليم والتشريعات الدينيّة التي ينتمي إليها أفراد ذلك المجتمع كالأخلاق الإسلاميّة أو اليهوديّة أو النصرانيّة، وإمّا عن أيّ فلسفة أخلاقيّة وضعيّة أخرى حاكمة عليه.

والأخلاق في الاصطلاح العلميّ ليست عبارة عن السلوك الخارجيّ، بل يتمّ تفسيرها على أنّها الصفات الراسخة الكامنة في داخل الإنسان، والتي إنمّا تظهر وتطفو على السطح مِن خلال سلوكات الفرد، وإلاّ فنحن عاجزون عن الكشف عنها مِن أعماق ذاته وبواطنه النفسيّة؛ لأنّ الإنسان لم يُزوَّد بأداة معرفيّة تمكِّنه مِن الاطّلاع على باطن النفس مباشرة، فيحكم

على الأخلاق مِن خلال السلوك؛ لأنّه قابل للملاحظة الحسيّة والقياس، لكنَّ الأخلاق في الحقيقة هي الملكات النفسانيّة الداخليّة التي يصدر عنها الفعل بلا رويّة.

والمقصود بالانحطاط الأخلاقيّ -في مفهومنا- هو تلك السلوكات التي يمارسها الفرد في المجتمع، وتنطلق مِن الملكات النفسانيّة التي تُصنَّف على أنّها رذائل أخلاقيّة في ضوء فلسفتنا القيميّة الإسلاميّة، بإبراز الفرد حبّه الكبير للمتعة الماديّة واللّذة الحسيّة، والمال، والمناصب، والشهرة، وما إلى ذلك، وينعكس ذلك تلقائيًّا على المجتمع ككّل؛ لأنّ المجتمع عبارة عن مجموعة مِن الأفراد يشتركون غالبًا في وحدة المكان، أو اللّغة، أو المعتقد، أو العادات والتقاليد، أو غير ذلك، ويتفاعلون فيما بينهم بعلاقات خاصّة يؤثِّرون ويتأثَّرون ببعضهم البعض، وبالتالي إنّ أيّ سلوك غير أخلاقيّ يقوم به مجموعة أفراد في المجتمع، سيؤثِّر على ذلك المجتمع بطريقة أو بأخرى.

ولذا، تختلف معايير تقييم هذا الفساد أو الانحلال أو ذاك، فالمجتمعات الإيمانيّة تقيّمه على أسس التشريعات الإلهيّة والتعاليم الدينيّة، والمجتمعات الماديّة أو العلمانيّة مثلاً وغيرها تبني تقييمها على أسس ماديّة تحاكي معتقداتها، والمجتمعات الجاهليّة تقوم بتقييمه على أسس العادات والتقاليد المتوارثة عن الآباء.

وفي الأوقات والعصور السابقة كانت العوامل التي تؤدّي إلى الانحطاط الأخلاقيّ، تكاد تكون محصورة في أماكن معيّنة، مثل: حانات شرب الخمر، أو منازل الفاسدين والجماعات المنحرفة، أو مجالس الغناء واللهو، فالفرد الذي يريد أنْ يمارس الرذائل هو الذي يقصدها في أماكنها الخاصّة عن سبق إصرار. أمّا في عصرنا الحاليّ، فقد اتّسعت تلك العوامل وانتشرت إلى أنْ وصلت إلى كلِّ منزل وكلِّ فرد، فالتلفاز والإنترنت واللوح التفاعليّ والهاتف على سبيل المثال أدوات موجودة في كلّ بيت وبمتناول يدّ جميع الشباب، فضلاً عن انتشار الفساد في السوق والجامعة وأماكن العمل وجميع مجالات الحياة الاجتماعيّة. لذا، أضحت هذه العوامل التي تجرّ إلى الانحطاط متوفّرة بين يدي شبابنا بشكلٍ يوميّ، فأصبح مِن الصعب عليهم تفاديها بفعل قوّة حضورها في حياتهم، مع حاجة كثير منهم إليها في الدراسة أو العمل أو التواصل مع الأهل والأصدقاء أو حتى التسلية والترفيه... إلخ.

في هذا البحث، نرمي إلى تسليط الضوء على بعض أسباب الانحطاط الأخلاقيّ والعوامل المعاصرة التي تؤدّي إليه، سواء على مستوى الأفراد أم المجتمعات، ونحاكمه انطلاقًا مِن أسس تشريعاتنا الإسلاميّة والقرآنيّة التي نعتقد بأنّها تشكّل المعيار الذي نقيس في ضوئه الانحطاط والفساد والانحلال في المجتمع. كما نبيّن مدى تأثير تلك العوامل سلبًا على الفرد

والمجتمع الإسلاميّ على مختلف المستويات في سبيل أنْ يعي الشباب المسلم مخاطرها وسلبياتها، ليتمكّن مِن أنْ يقي نفسه ومحيطه منها. وفي نهاية بحثنا اقترحنا بعض سبل المواجهة، ووضعنا آليّات لكيفيّة التعامل مع تلك العوامل الخطيرة، هذه المواجهة التي تتطلّب تكاتف وتعاون وتعاضد وتلاحم جميع أفراد مجتمعنا الإيمانيّ مِن أسر وشباب وعلماء ومثقّفين ومؤسّسات تعليميّة وتربويّة ومراكز بحثيّة ودعويّة وغيرهم في سبيل إصلاح مجتمعنا، وبالتالي إنقاذه مِن الانحدار الأخلاقيّ والانحطاط القيميّ؛ لما له مِن آثار مدمّرة علينا، أوّلها وأهمّها الغضب الإلهيّ الذي ينصبّ على المجتمعات الفاسدة، وسنّة الاستبدال الإلهيّة التي تصيب القرى الظالم أهلها، وخلق موانع لتعجيل ظهور صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ لأنّه كما سيظهر في بعض المباحث أنّ تمتّع المجتمع الإيمانيّ بالقيم الدينيّة والتقوى والصلاح والاستقامة، هو الذي يقرِّب مِن ظهور صاحب الزمان؛ لأنّه يعني أنّ هناك أنصارًا وأعوانًا يمهِّدون لدولته عجّل الله تعالى فرجه الشريف ببناء المجتمع المهدويّ الصالح. على هذه النظرة يقوم الانتظار الإيجابيّ، بخلاف الانتظار السلبيّ الّذي يرى أنّه ينبغي نشر الفساد أو السكوت عنه مِن أجل ظهور صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

الفصل الأوّل:

دور الفكر الماديّ (الإلحاد والعلمانيّة) في الانحطاط الأخلاقيّ

المبحث الأوّل:
الإلحاد المعاصر وفقدان المعايير الأخلاقيّة

تمهيد

● أوّلاً: تعريف الإلحاد

الإلحاد: هو عدم الإيمان بوجود الإله، أو بتعبير أدقّ هو الإيمان بعدم وجود الإله تمييزاً له عن اللاأدريّة؛ لأنّ اللاأدريّة تتضمّن عدم الإيمان بوجود الإله أيضًا، ولكنّها تُجامع الشكّ. أمّا الإلحاد، فهو اليقين بعدم وجود الإله؛ أي عدم وجود أيّ قوّة عظمى ما وراء الطبيعة خلقت هذا العالم والإنسان وما يحيط بنا من كائنات مدهشة في إتقان صنعها وبديع نظمها.

والملحد لا يُدرك من الوجود إلاّ مرتبته الحاليّة الحسيّة التي يعايشها، وهي الحياة الدنيا، ولا يعتقد بمرتبة متأخِّرة من الوجود، المعروفة لدى الإلهيين بالآخرة؛ أي عالم ما بعد الموت، كما أخبر عنهم تعالى في قوله: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾[سورة الجاثية: ٢٤].

فالملحد مُنكِر للمبدأ، ومنكر للمعاد أيضًا، وهما أهمّ أصلين من أصول الدّين.

● **ثانيًا: إنكار الخالق وغياب معايير تحديد الخير والشرّ**

يترتّب على إنكار الملحد للمبدأ أمور عدّة منها: غياب المعايير التي في ضوئها يمكن تحديد الخير والشرّ والحُسْن والقُبْح، وهذا ما نلاحظه بشكل واضح في تصريحات الملاحدة، نذكر نموذجين منها:

الأوّل: قول الملحد الفرنسي جان بول سارتر: «لقد كتب دوستويفسكي: «لو لم يكن الله موجودًا، لكان كلُّ شيءٍ مسموحًا به». هذه هي نقطة البداية للوجوديّة. في الواقع، كلُّ شيءٍ مباح إذا لم يكن اللهُ موجودًا»[١].

والنموذج الثاني: قول الملحد الشهير ريتشارد دوكنز: «في هذا العالم لا يوجد شرٌّ ولا يوجد خيرٌ، لا يوجد سوى لامبالاة عمياء وعديمة الرّحمة»[٢].

هذان التصريحان يفيدان بشكل واضح لا لبس فيه أنّه إذا لم يكن ثمّة إله في هذا العالم، فإنّ الإنسان -مِن وجهة نظر إلحاديّة- يتحرّر من المعايير الأخلاقيّة، ولا يكون هناك أيّ ميزان نقيس في ضوئه الحُسْن والقُبح والخير والشرّ، وهذا مِن أخطر القضايا في العقيدة الإلحاديّة، وهي فقدان المعيار الأخلاقيّ في حياة الإنسان، وبالتالي التحرّر مِن أيّ مسؤوليّة قيميّة.

ونلاحظ أنّ هذه النقطة سارية المفعول عند غالب الملحدين، إنْ لم نقل

---

١ - سارتر، الوجودية مذهب إنسانيّ، ص ٢٤-٣٥.

Scheff Liam.2007. The Dawkins Delusion. Salvo,2;94.

2 - Scheff Liam.2007. The Dawkins Delusion. Salvo,2;94.

جميعهم، فلا يكاد يمرّ حوار بين المتديّنين والملحدين إلاّ ويستحضر الطرفان سؤال الأخلاق، بمعنى أنّه يتمّ مناقشة مدى إمكانيّة المواءمة بين الإلحاد والأخلاق في الحياة الإنسانيّة، فهل يمكن أنْ يكون الإنسان الملحد أخلاقيًّا؟ عادة ما يأتي جواب المتديّن بالنفي، وذلك اعتمادًا على اعتراف كبار الملاحدة أنفسهم، بأنّ اللاتديّن يحرّر الإنسان من الضوابط الأخلاقيّة.

ومِن الشواهد على ذلك أيضًا -مضافًا إلى ما تقدّم عن سارتر ودوكنز- ما يراه الملحد الأسترالي «بيتر سنجر» مِن أنّ ممارسة البشر الجنس مع الحيوانات والبهائم، مادام أنّها لا تتضمّن أذيّة مِن أيّ نوع للحيوان، فهو أمر طبيعي ومقبول في إطار حميميّة العلاقة بين الحيوانات والإنسان، ويتابع القول: «لا خطأ في ذلك على الإطلاق، بل إنّه أمر محمود طالما يؤدّي إلى استمتاع الطرفين: الحيوان والإنسان»[1].

فانظر إلى أيّة درجة يؤدّي الإلحاد بصاحبه إلى تحقير الذات الإنسانيّة وكرامة الإنسان الذي اصطفاه الله تعالى لخلافته الإلهيّة، فيُنزله من تلك المرتبة إلى حضيض الحيوانيّة، ويصدق بحقّهم قوله تعالى: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[سورة الأعراف: ١٧٩].

1 - https://www.aljazeera.net/midan/intellect/philosophy/2017/9/19

هؤلاء بالفعل قد غلبت شـهواتهم عقولَهم، فهـم أضلُّ مِن الأنعام وشرٌّ مِن البهائم.

عن أمير المؤمنين عليه السـلام: «إنّ الله عـزَّ وجلَّ ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركَّب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركَّب في بني آدم كلتيهما، فمَن غلب عقلُه شـهوتَه فهو خـيرٌ مِن الملائكة، ومَنْ غلبت شـهوتُه عقلَه فهو شرٌّ مِـن البهائم»[1]. وكذلك ما ورد في جواب الفيزيائيّ الشـهير المُلحد «لورنس كراوس» عن سؤال وجّه إليه في مناظرة مع الداعية حمزة تزورتيس عمّا إذا كان يعتبر زنا المحارم خطأً؟ فأجاب: «ليس مِن الواضح بالنسبة إليّ أنّه خطأ»، وقد استغرب الجمهور هذا الجواب منه بنحو لافت، فحاول أنْ يُقدّم تبريرًا لوجهة نظره قائلاً: «إنّ أغلب المجتمعات يمنعونه مِن باب تجريبيّ بشـكل عام، فإنّه يُنتج مضارّ وراثيّة، فهناك سـبب منطقيٌّ ومجتمعيٌّ يجعله خطأ، بالمناسبة زنا المحارم مُتجذِّر في المجتمعات بسـبب أنّها تريد أن يُحفظ نسـلُها، ولكنْ إذا سـألتني سؤالاً أو طلبت منّي دليلاً عقليًّا بخصوص أخ وأخت يُحبّان بعضهما ويهتمّان ببعضهما، مع استعمال موانع الحمل، فهل يوجد شيء خاطئ أخلاقيًّا في هذا؟ لا أعتقد وجود أيَّ مشكل أو أيَّ إدانة في هذا، إذا أحبّا بعضهما»[2].

---

١ - الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٤-٥، ح١.

٢ - زنا المحارم ليس خطأً واضحًا، على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=M69XV35sCdk

١. أخلاق الملحدين ضدّ قيم الفطرة والدّين

مثل هذه الأجوبة يُظهر بشكل واضح أنّ الإلحاد يقود الإنسان إلى التحرّر مِـن كلِّ الضوابط الأخلاقيّة، والتي لو تجاوزنـا التعاليم الدينيّة ووضعناها جانبًا للحظة لوجدنا الفطرة البشريّة السـليمة تهتف بها، فهم لا يتجاوزون فقط منطق الأخلاق الدينيّة، بل حتّى يتعدّون على فطرة الإنسـان السليمة، بل على القيم الاجتماعيّة العامّة المتوارثة عبر تاريخ الإنسانيّة؛ لأنّ كراوس افترض أنّ هذيـن الأخ والأخت يحبّان بعضهما في مجتمع قد يرى أنّ زنا المحـارم أو العلاقـة بين المحارم أمرًا خاطئًا أخلاقيًّـا، وإن مِن وجهة نظر اجتماعيّـة محضة، ومع ذلك أجاب بأنّه لا يرى أيّ إدانة، فالمحور عندهم هو التلذذ الحسيّ والاسـتمتاع الحيوانيّ، وبذلك يقف المنطق الإلحادي ضد مطلق الأخلاق لأيّ حقل انتمت، سـواء الفطرة الإنسـانيّة السليمة أم الدّين الإلهيّ أم حتّى تقاليد المجتمع وأعرافه العامّة.

وتصوّروا معي أيَّ انحطاط أخلاقيّ سـتصل إليه المجتمعات البشريّة لو كانت السيادة عليها لمثل هذا المنطق السخيف والمقزّز؟!.

ولذلك، إنّ إنكار وجود الله تعالى يرتبط بعلاقة وثيقة جدًّا مع الانحطاط الأخلاقـي في المجتمع، إذ حينهـا تغيب المرجعيّة العُليـا التي يمكّن أنْ تُبنى الحياة الإنسانية السـويّة في ضوئها؛ لأنّ ما يميّز الأخلاق أنّها ليست علـمًا توصيفيًّا، بل هي علم معياريّ يُحدِّد للإنسـان ما ينبغي أن يكون أو

لا يكون في الواقع، فهي تسعى إلى حياة إنسانيّة أفضل، يسودها الخير والكمال والحقّ والجمال، ولا يكون ثمّة إرادة إنسانيّة لتحقيق القيم في أرض الواقع إلّا بأنْ تُفرَض عليه هذه القيم مِن سلطة عليا يشعر أمامها بالمسؤوليّة والمحاسبة والعقاب أمام تصرّفه في هذا الموقف أو ذاك.

نعم، بناء على ما تقدّم، يمكن أنْ يكون هناك معيار وحيد للملحد في تحديد ما هو أخلاقيّ، وهو المعيار الذاتيّ الخاضع للمزاج الشخصي أو الاستحسان أو غيره مِن العوامل الذاتيّة، والذي قد يختلف مِن ملحد إلى آخر، ومِن زمان إلى آخر، وبالتالي في الحقيقة يؤول هذا الأمر إلى اللامعيار؛ لأنّ حقيقة المعيار لا تتقوّم إلّا بالثبات والعموم، فإذا فُقِد الثبات والعموم لا يكون قاعدة ولا معيارًا.

٢. مناقشة معيار اللاضرر والمتعة الحسيّة

وقد يقول بعض الملحدين، كما تقدّم في كلام كراوس، إنّ المعيار الذي يمكن لنا اعتماده لتحديد الفعل الخاطئ أخلاقيًّا هو أنْ يعود بالضّرر على الإنسان، ولكنَّ المناقشة التي تطرح نفسها هنا، هي أنّه لو توافق الطرفان على تحمّل الضرر مِن هذه العلاقة، أو رضيا بتحمّل الضرر، أو كانا ممّن يلتذّان بالضّرر والألم، خصوصًا إذا أضفنا معيار اللّذة الشخصيّة والمتعة الحسيّة الفرديّة، فحينها ما المشكلة في ذلك؟! لأنّه مِن المفترض عند

الملحد لا يوجد معيار، يقول: كلُّ فعل يضرّ بالإنسان يكون خاطئًا، وبالتالي لا أخلاقيًّا، فمن أين لكراوس وأمثاله إثبات مثل هذا المعيار وهذه القاعدة بمعنى الإلزام بها وتحمّل المسؤوليّة أمامها فيما إذا اختار ملحد ما أن لا يلتزم بها، فما هو المُلزِم؟! فهذا يكون مِن باب لزوم ما لا يلزم.

هذا فضلاً عن نقطتين أخريين في مسألة الضرر:

أوّلاً: ما هو مقدار الضرر المانع مِن القيام بالفعل، فمثلاً هل يمكن لكراوس أنْ يعتبر التدخين فعلاً لا أخلاقيًّا مع أنّه يضرّ بصحة الإنسان؟!! لا أظنّ ذلك.

وثانيًا: على فرض التسليم بوجود الضرر، فمن أين تستمدّ قاعدة الامتناع عن الضرر قدسيّتها؟! إذ يمكن للملحد أنْ يخالفها بسهولة مِن دون أنْ يشعر بوخز الضمير الداخلي أو أيّ إحساس بالذنب، ولا شكّ في أنّ الذي يردع الإنسان في مقام العمل أحد أمور:

١. إمّا الشعور بوجود سلطة عليا تفرض عليه الالتزام الأخلاقي كالمتديّن، الذي يلتزم بدفع الضرر عن نفسه استجابة لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[سورة البقرة: ١٩٥].

٢. وإمّا الشعور بالخوف مِن العقاب الأخرويّ.

٣. وإمّا الشعور بقدسيّة البدن لكونه مملوكًا للّه تعالى، وهو أمانة في عنق صاحبه.

٤. وإما الشعور بتأنيب الضمير لكونه قد خالف تعاليم المُنعم الذي

ينبغي عليه شكره....إلخ، وهذه العوامل كلّها ليس لها مكان في حياة المُلحد، وبالتالي هو متحرّر منها.

ويتضح مما تقدّم، أنّه يترتّب على إنكار الملحد للمبدأ: ثانيًا: فقدان الإحساس بالمديونيّة للخالق، وبالتالي ينعدم الشعور بضرورة وجوب شكر المُنعم الخالق بالالتزام بتعاليمه الأخلاقيّة التي عبرّت عنها الأديان، خصوصًا في الكتب السماويّة.

ثالثًا: الشعور بالتحرّر من المسؤوليّات؛ لأنّه ليس هناك أيّة قوّة عظمى في هذا الكون تراقب تصرّفاتنا.

● ثالثًا: إنكار المعاد وفجور الإنسان

قلنا إنّ فلسفة الإلحاد قائمة على إنكار المبدأ والمعاد، وإنكار المعاد لا يقلُّ خطورة عن إنكار المبدأ؛ لأنّه حين ينتهي الإنسان إلى الاعتقاد بحصريّة هذه الحياة الدنيا وإنكار ما وراءها، يعتقد من وجهة نظره بأنّه لا بدّ له من اغتنام الفرصة لإشباع اللّذَات الحسيّة والماديّة؛ إذ لا معنى للتفكير حينئذٍ في الحُسْن والقبح وإتلاف العمر في ذلك، كما نلاحظ في قوله تعالى: ﴿**بل يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**﴾[سورة القيامة: ٥-٦].

قال العلامة الطباطبائي في معنى الآية: « أنّه لا يحسب أنْ لَنْ نجمع

عظامـه، بل يريد [الإنسـان] أنْ يكذب بالبعث، ليفجر مـدى عمره، إذ لا مُوجِب للإيمان والتقوى، لو لم يكن هناك بعث للحساب والجزاء»[1].

ففلسـفة الحسـاب الأخرويّ تُعتَبَر مِن أهـمّ وأبرز الدوافـع التي تحرّك الإنسـان نحو التقيّد والالتزام بالتشريعات والقيم الأخلاقيّة التي أنزلها اللّه عبر رسـله، ومتى غابت هذه الفلسـفة عن إدراك الإنسان أو ذهنه، تصرّف بعبثيّة تامّة غير محدودة بضوابط، فمَن أمِنَ العقاب أساء الأدب.

● رابعًـا: الإلحـاد مِن الاضطـراب النفسيّ إلى المسـكرات والمخدّرات

ذكرنـا أنّ الإلحاد يعـارض الفطرة التي أودعها اللّه تعالى في الإنسـان. هـذه الفطـرة التي تحتّم عليه الشـوق والجنـوح نحو الكـمال الحقيقيّ، والتـي تقف الحياة الماديّـة عاجزة عن تحقيقه، فإذا كان الإنسـان يبحث عن المال، سـيحاول جاهدًا تجميع أكبر كميّة منه، لكنّه في نهاية المطاف سـيجد مَنْ هو أغنى منه، وإذا كان يبحث عن السـلطة والمناصب سيظلّ يسعى وراءها متمنيًّا أن يسيطر على العالم، وإذا سيطر على العالم سيبحث عـن طريقة ليسـيطر على المجـرّة، وهكذا لن يصـل إلى مآله. فكلّ شيء

١ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص١٠٥.

في عالم الإمكان مشـوب بالنقص والعيوب؛ إذ لا كمال مطلق إلّا واجب الوجود المطلق، وبالتالي كلّ هدف يكون خارج دائرة الارتباط باللّه تعالى لن يُشـبع شوق الإنسان إلى الكمال، وسـيبحث عن الكمال في مصاديق وهميّة، كالمال، والشـهرة، والسلطة... إلخ، وهذا يؤدّي به إلى تجاوز أي معايير أخلاقيّة مِن أجل الوصول إلى تلك الأهداف.

إذًا، بسـبب معارضة أسـلوب اللّاهدفيّة الكونيّة للفطرة الإنسـانيّة، يظلّ هذا الأسـلوب يعذّب صاحبه عذابًا شـديدًا ويُشـعره بالاضطراب النفسيّ واللّاتـوازن والكآبة والقلق، فتراه غالبًا ما يريد الفرار مِن أفكاره ويلجأ إلى ما ينسـيه إيّاها، مثل: المخدّرات، والمسكرات، وأندية السهر، والمشاركة في مجالس اللهو، والقمار، لأجل نسيان نفسه وما يختلج في ذهنه ويدور في مشاعره، بل قد يصل به الأمر إلى الانتحار.

يُنقَل عن كارل يونج - مؤسّس علم النفس التحليليّ - أنّه يقول: «إنّ انعدام الشعور الدينيّ يسبّب كثيراً مِن مشاعر القلق والخوف مِن المستقبل والشعور بعدم الأمـان والنزوع نحو النزعـات المادّية البحتة، كما يـؤدّي إلى فقدان الشعور بمعنى هذه الحياة ومغزاها، ويؤدّي ذلك إلى الشعور بالضياع»[1].

وقد أجرى البروفيسـور José Manoel Bertolote -مشرف مسـؤول في

١ - انظر: العيسوي، دراسات في تفسير السلوك الإنسانيّ، ص١٩٣.

منظّمة الصّحة العالميّة- دراسةً تدرس نسبة المنتحرين حسب الدّين. فكان الملحدون عـلى رأس قائمة الّذين قتلوا أنفسـهم ليتخلَّصـوا مِن حياتهم وتعاسـتهم بنسـبة (٤٠٪)، يليهم البوذيّـون (٢٤٪)، مِن ثمّ المسـيحيّون (١٨٪)، وفي ذيل القائمة يأتي المسلمون (١٪)[1].

فالإلحاد إذا انتشر في مجتمعٍ ما، لا تقتصر آثاره على الفاحشـة والفسق فقـط، بل تتخطّاها لتصل إلى تفشّي الأمراض النفسـيّة والروحيّة، كالكآبة والقلـق والاضطـراب النفـسيّ والنزعة العدميّـة والتشـاؤم والعبثيّة، هذه الحالات الناتجـة عن البعد عن الخالق بالإضافة إلى عوامل أخرى تورث قسـوة القلب، ممّا يـؤدّي إلى ارتكاب الجرائم دون أيّ رادع، فعند قسـوة القلـب التي تتحوّل مِن حال إلى ملكة بفعل الاسـتمراريّة والتكرار، تهدم حتّى الرادع الإنسانيّ الذي يحول دون ارتكاب الجرائم.

1 - Is religion protective against suicidal behaviour for LGBT individuals? (netecr.org)

المبحث الثاني:
العلمانيّة والتحرّر مِن الأخلاق الدينيّة

● أوّلاً: تعريف العلمانيّة

العلمانيّة هي حركة ثقافيّة وفلسفة اجتماعيّة تشكّل اتجاهًا في الحياة يقوم على مبدأ استبعاد الدّين مِن الحياة العامّة، كالسياسة والقضاء والاقتصاد والتعليم... إلخ، وتنمية النزعة الإنسانيّة الوضعيّة وتأسيس نظام قيَميّ وسلوكيّ بعيدًا عن الدين. ولذا، يمكننا القول إنّ العلمانيّة، وإنْ نشأت كحركة ثقافيّة في مواجهة الكنيسة، لكنّها امتدّت لاحقًا لتعادي مطلق الدّين وتعاليمه وقيمه في الحياة العامّة للإنسان بهدف إقصاء حضور الشريعة الإلهيّة، إلى أي دين سماوي انتسبت، سواء أكانت المسيحيّة أم اليهوديّة أم الإسلام.

يقول الشيخ محمّد تقي جعفري في تعريف العلمانيّة: «إنّ العلمانيّة تعني المخالفة للقواعد الشرعيّة والتعاليم الدينيّة والانسجام مع الروح الدنيويّة. إنّ مادة العلمانيّة مرتبطة بالدنيا ومنفصلة عن الروحانيّة ومنحازة إلى صيرورة الأشياء الدنيويّة»[1].

---

١ - الجعفري، العلمانيّة دراسة وتحليل، ص١٠.

وعطفاً على ما تقدّم في المبحث السابق، تتشارك العلمانيّة والإلحاد في إرادة إقصاء القيم الأخلاقيّة الدينيّة عن الحياة العامّة، إذ إنّ الملحد لا يؤمن بوجودها أصلاً؛ لأنّه لا يؤمن بالدّين مِن الأساس -كما تقدّم- وبالتالي فهو لا يؤمن بوجوب الالتزام بها. أمّا العلمانيّ، فمن الممكن أنْ يؤمن بها، لأنّه قد ينتمي ظاهريًّا أو بتعبير أدقّ فرديًّا إلى أحد الأديان السماويّة المعروفة، كاليهوديّة أو النصرانيّة أو الإسلام، إلاّ أنّه لا يعتقد بوجوب الالتزام بالأخلاق العامة المُشرّعة في الأديان؛ لكونه يرى أنّ الدّين مجرّد علاقة فرديّة خاصّة بين الإنسان وبين الإله، ولذا يقتصر بالحدّ الأقصى في علاقته مع الأخلاق الدينيّة على ما يتعلّق بعلاقة الفرد بربّه كالعبادات الشكليّة.

● ثانيًا: العلمانيّة ضدّ الشريعة الإلهيّة

يرى الفرد العلمانيّ نفسه بغنىً عن الشريعة الإلهيّة مادام أنّ المجتمعات توصّلت إلى إقرار قوانين وضعيّة حكوميّة ودوليّة تنظّم حياة الفرد في المجتمع والدولة. ذلك الاستغناء عن التعاليم الإلهيّة وصل بالعلمانيين العرب المعاصرين إلى إلقاء التُّهم على ديننا الإسلاميّ الحنيف؛ إذ ادّعوا أنّ تشريعاته لا تنفع لحياتنا المعاصرة الحاليّة بحجّة تغيّر الظروف الاجتماعيّة والمعيشيّة والاقتصاديّة التي كانت معاصرة لنزول الوحي على النبيّ (ص)، وهذا إنّما ينمّ عن جهلهم بجوهر الدّين وروح الشريعة الإسلاميّة التي تصلح

لكلّ زمان ومكان في ضوء ما ورد في الشريعة مِن كليّات تقنينيّة وقواعد عامّة.

هؤلاء العلمانيّون المضطربون والمتذبذبون بين انتسابهم فرديًّا إلى الدّين الإسلاميّ وأسلوب حياتهم الوضعيّ اللّيبراليّ أو اليساريّ...، يدعون إلى تحرّر المجتمعات مِن التشريعات الإلهيّة واللّجوء إلى التشريعات الوضعيّة، ومنها قوانين المجتمع الدوليّ المعاصر الذي يضمن -حسب رأيهم- الكرامة والحريّة للإنسان، ويكفل له الرفاهية والحياة السعيدة.

ممّا لا شكّ فيه أنّ التشريعات الإسلاميّة التي أنزلها اللّه على نبيّنا محمّد (ص)، إنّما هدفها الأبرز والأسمى هو هداية البشر وانتشالهم مِن الضلال وتحقيق كمالهم وسعادتهم على المستويات المختلفة: الفرديّة، والمجتمعيّة، وحتّى فيما يتعلّق ببناء الدولة. إذًا، لا يحقّ للعلمانيّ الذي يدّعي الانتماء إلى الدّين أنْ يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه الآخر؛ لأنّ الشريعة الإلهيّة تتكفّل إدارة حياة البشر في أبعادها كافّة، كما أنّه لا يكفي الإيمان بهذه التشريعات إيمانًا قلبيًّا لا يؤثّر في سلوكك الحياتيّ على الأصعدة الفرديّة والاجتماعيّة والحكوميّة كافّة، فلا فائدة مِن أيّ عقيدة لا تقترن بالتطبيق؛ لأنّها في نهاية المطاف لا تحقّق الهدف الغائيّ الذي أُسِّست لأجله.

لا يمكن لأيّ إنسان علماني يدّعي الانتساب إلى الدّين أنْ يجزّئ إيمانه فيؤمن ببعض ويكفر ببعض، أو أنْ يؤمن بفكرة ويمارس عكسها تمامًا؛ لأنّ هذا السلوك لا يجلب له سوى الاضطراب والضياع؛ ذلك نتيجةً لوجود

قوتيّن متصارعتين في نفسه، الأولى تدعوه إلى الإيمان باللّه والمبدأ والمعاد، والأخرى تدعوه إلى عدم الالتزام بالتشريعات التي فرضها ذلك الخالق الذي يؤمــن به، فإمّا أنْ تنتصر واحدة مِن هاتين القوّتين على الأخرى، فيتخلّى عن دينه مقابل أســلوب حياته أو العكس، وإمّا أن يُكمِل ما تبقّى مِن عمره مشتتًا ومضطربًا، يعيش حالة التجاذب والصراع بين هذين القطبين الثنائيّين.

● ثالثًا: موقف العلمانيين السلبيّ مِن سلوك المتديّنين

ويعتقد العلمانيّون أنّ موقف المتديّنين مِن اعتبار أسلوب الحياة العلمانيّة لا أخلاقيّ لكونهم يُقصون الشريعة الإلهيّة والقيم الدينيّة عن الحياة العامّة، هو مجرّد شــائعة أو أسطورة روّج لها هؤلاء المتديّنون مِن أجل الإساءة إلى المنهــج العلمانيّ في الحياة وتشــويه صورتــه ومن باب التعبئة ضــدّ التيّار العلمانيّ في الوطن العربيّ والعالم الإسلاميّ. في حين أنّ الفلسفة العلمانيّة لا تقصي الأخلاق، بل هي تنســجم تمام الانسجام معها، بل تعتبرها الشرط الــضروريّ لحياة كريمة لجميــع البشر؛ لأنّها تجمع النــاس وتحصّنهم مِن التعصّب الدينيّ الأعمى. فالعلمانيّة أقدر على إيجاد قواسم مشتركة بين بني البشر، فهي تجمع وتوحّد، في حين أنَّ الدّين يشتّت ويفرّق.

كما أنّه مِن شديد أسف، يحاول العلمانيّون أنْ يقلبوا هرم القيم، فيطلقون النار عــلى الشــخصيّة المتديّنة التي تعيــش في العالم العربي والإســلاميّ

بوصفها شخصيّة متناقضة وتعيش ازدواجيّة المعايير تجاه الغرب العلمانيّ؛ وذلك لأنّه مِن وجهة نظر أفراد هذه المجتمعات يتمتّع الغرب مِن جهة بأخلاق حميدة مِن ناحية الصدق والشفافيّة وحسّ المسؤوليّة تجاه المواطن والالتزام بالمواعيد والنظام... إلخ، ولكنْ في المقابل يعيش هذا الغرب نفسه أدنى درجات الانحطاط الأخلاقي بسبب ما يسود فيه مِن العري والإباحيّة الجنسيّة وتشريع الخمور والربا والقمار... إلخ.

لكنْ يمكن مناقشة هذه الفكرة بإعادة رمي الكرة في ملعب المجتمعات الغربيّة العلمانيّة؛ وذلك لأنّ حقيقة هذا التناقض لا تتمثّل في شخصيّة الإنسان المتديّن الذي يعيش في العالم الإسلاميّ، وإنّما هي في المجتمع الغربيّ نفسه؛ أي إنّ المجتمع الغربيّ العلمانيّ هو الذي يعيش هذه الثنائيّة بين بعدين في هويّته الاجتماعيّة، بعد فيه الفضيلة الفطريّة مِن الصدق وحسّ المسؤوليّة والشفافيّة، وبعد فيه الرذيلة والانحطاط الأخلاقيّ كالعري والزنا وتشريع اللواط والسّحاق والربا والقمار... إلخ، هذا أوّلاً.

وثانيًا: إنّ الشريعة الإسلاميّة تضمن بتطبيقها في الحياة الاجتماعيّة العامّة للمسلمين تلك القيم الإيجابيّة الفطريّة بطريقة أعلى وأفضل، كما أنّها تنهى عن تلك الرذائل وتبعدها عن الحياة العامّة، وتحمي أفراد المجتمع مِن آثارها وتداعياتها.

● رابعًا: العلمانيّة ونزعة العنف

ومِن الشّبهات التي كثيراً ما نراها حاضرة في منطق العلمانيّين -أيضًا- عند نقاشهم مع المتديّنين، أنّ النزعة الدينيّة تتلازم مع التعصّب والعنف، بحجّة أنّه لو تتبّعنا التطرّف والعنف في المجتمعات، لوجدنا أنّ المجتمعات الدينيّة هي الأكثر ممارسة للعنف والتطرّف، وبالتالي لا يمكن أنْ تحظى المجتمعات بنعمة الشعور بالسلام والسكينة إلاّ بإقصاء القيم الدينيّة وإبدالها بالقيم العلمانيّة. لكنَّ هؤلاء غفلوا عن أنّ هذه الفكرة هي في الحقيقة أسطورة يروّج لها العلمانيّون ولا تمتّ إلى الواقع بصلة. والأسطورة -كما تقول أستاذة العلوم السياسيّة في جامعة شيكاغو لندا زريللي- لا يمكن هزيمتها عبر معارضتها بالمنطق والدّقة أو بقوّة الدليل... إنّ الأسطورة بطبعها بلا أساس، وهذا ما يجعلها مستقرّة وثابتة. ما يميِّز الأسطورة ليس فجاجتها أو سذاجتها، وإنّما قدرتها على التملُّص مِن أدوات التحقيق»[1].

وبالعودة إلى الواقع، إذا استقرأنا تاريخ العنف في الحضارة الغربيّة العلمانيّة، فإنّه يتجاوز بعشرات المرّات ما تنسبه الأسطورة العلمانيّة إلى المجتمعات الدينيّة، ويكفي نظرة بسيطة إلى تاريخ الاحتلال الفرنسيّ

---

١ - عودة، سامح، الدين أم العلمانيّة.. مَن المسؤول حقًّا عن أكبر جرائم الإبادة والعنف؟، على الرابط:
https://www.aljazeera.net/midan/intellect/sociology/

للمنطقة العربيّة والمجازر التي قام بها في الجزائر وسوريا ولبنان وغيرها، وكذلك ما قام به الاحتلال البريطانيّ في فلسطين ومصر والعراق وغيرها، ويكفي أنّه باع ما لا يملك لمن لا يستحق؛ أي بيعه فلسطين لليهود، وهذا ما سبّب عنفًا مُستمرًا مِن قبل الكيان الصهيونيّ الذي تجاوز كلّ القيم الأخلاقيّة في سلوكه ضدّ سكان الأرض الأصليّين.

ومِن المعروف مثلاً أنّ فرنسا التي تمثّل الأخلاق العلمانيّة، ما زالت تحتفظ بجماجم شهداء المقاومة الّذين سقطوا في مواجهة الاحتلال الفرنسي في متاحفها الوطنيّة، مذيّلة تلك الجماجم بعبارة: «مجرم»، كالاحتفاظ بجمجمة المقاوم «سليمان الحلبي» الذي قتل «كليبر» في متحف الإنسان بباريس.

فتلك الأسطورة التي روّج لها العلمانيّون مِن أنّ الدّين يحمل في داخله بذور الاتجاه نحو العنف والتطرّف والإرهاب، تسقط على أبواب الواقع أمام المشاهد التي يمارسها الغرب العلمانيّ في حروبه طولاً وعرضًا، متجاوزًا كلّ القيم الأخلاقيّة حتّى التي شرّعها هو لنفسه مِن موقعه العلمانيّ.

فالعلمانيّة في الحقيقة هي التي تتجاوز كلّ القيم الأخلاقيّة، وتؤدّي إلى انتشار الانحطاط الأخلاقيّ في مجتمعاتنا، وتحطّم حتّى القيم التي وضعتها لنفسها أمام مصالحها وحقدها على الدين والإسلام.

المبحث الثالث:
أجندات الشذوذ الجنسيّ والجندريّات ومحاربة القيم الدينيّة

● أوّلاً: الجندر والجنس

الهويّة الجندريّة «Gender Identity»، هي عبارة عن رؤية الفرد لذاته، بمعنى أنّه كيف يرغب في تعريف نفسه إلى الآخرين وتعاملهم معه، فهي المفهوم الخاصّ الذي يعيّنه الشخص لنفسه كذكرٍ أو أنثى أو أيّ نوع آخر.

وهناك علاقة وثيقة بين الهويّة الجندريّة وبين مفهوم آخر، وهو الدور الجندريّ «Gender Role»، ويراد به «مجموعةُ المظاهر الشخصيّة الخارجيّة التي تعكس الهوية الجندريّة»[1].

فالهويّة الجندريّة تتعلّق بالحالة الداخليّة التي يرغب أنْ يكون عليها الفرد، أمّا الدور الجندريّ فهو التعبير عنها؛ أي ما يبرز في المظاهر والسلوك على المستوى الاجتماعيّ كاللّباس وأسلوب المشي و...، وبالتالي يكون الدور هو المؤشّر إلى طبيعة النوع والهويّة الجندريّة.

ويميّز الجندريّون بين الجندر والجنس، فالجندر اتّضح ممّا تقدّم، أمّا الجنس عندهم هو الحالة البيولوجيّة التي يولد الإنسان عليها، ويُعرف

---

١ - سيدة، محمود، المضامين الحقيقيّة لشبكة المفاهيم المتعلّقة بالجندر، على الرابط: https://bahethat.com/article/r38044/

عـادة من خلال الأعضاء التناسـليّة الخارجيّة. ولذلك يكون الجنس ليس اختياريًّا، بل هو ما تمنحه الطبيعة للفرد، بينما الجندر هو ما يختاره الإنسان لنفسه أنْ يكون عليه.

ومِـن هنا لا يمنح الجندريّون أيّ أهميّة للجنس، إذ يمكن أنْ تكون ذكرًا بيولوجيًّا، ولكنْ تحـدّد نوعك الاجتماعي على أنّك أنثى أو أيّ نوع آخر، وبالتـالي لا يحدّد الجنس هويّتك وما أنت عليـه في الواقع، بل ما تختاره لنفسـك مِن النوع هو الذي ينبغي أنْ تكـون عليه ويتعامل الآخرون معك في ضوئه، فلو كنت ذكرًا بيولوجيًّا لكنّك اخترت أن تقدِّم نفسك على أنّك أنثى، فأنت جندريًّا أنثى، ولا بدّ للآخرين مِن احترام حقّك هذا في اختيار نوعك الجندري والتعامل معك على هذا الأساس.

● ثانيًا: الارتباط بين الشذوذ الجنسي والجندريّة

مِن الظواهر التي تقترن بظاهرة الجندري ما يُعرف بـ «الشذوذ الجنسيّ»، وهـو عبارة عن الخروج عن الحالة التـي تقتضيها الطبيعة البشريّة والفطرة الإنسـانيّة، بل والشرائع الدينيّة، والتي بـدأت تظهر في مجتمعاتنا العربيّة، فصـارت «المثليّـة» -مثلاً- التي هي أحـد تجليّات الشـذوذ، تُهدِّد الحياة الزوجيّة والأسريّة وتترك انعكاسـاتها على مجمل الهوية الاجتماعيّة، وإنْ حاول الشـاذّون القول بأنّها مسألة شـخصيّة، لكنْ في الحقيقة هي مسألة

اجتماعيّة بامتياز؛ لأنّها لا تتعلّق بخيارات الفرد في حياته الخاصّة، بل تترك أثرها على المجتمع ككلّ، فالشاذّ لا يعيش في جزيرة منعزلة، بل يمارس أسلوب حياته داخل المجتمع.

وباختصار، الشذوذ الجنسي عبارة عن إشباع الحاجات والرغبات الجنسيّة بطريقة خارجة عن الطبيعة والتكوين الفطري للإنسان، مثل: المازوخيّة، والساديّة، والفيتيشيّة، والمثليّة الجنسيّة «Homosexuality»، والتي تعني ميل الشخص وانجذابه إلى الشخص الآخر الذي هو مِن جنسه، أي ميل الذكر إلى الذكر، والأنثى إلى الأنثى.

هذه العقيدة الجندريّة والشذوذيّة تؤدّي، كما الإلحاد، إلى التحرّر مِن المعايير الأخلاقيّة التي تضبط سلوك هذا الفرد أو ذاك في المجتمع؛ لأنّ المعيار الوحيد الذي يحكم السلوك حينها، هو رغبة الفرد ومشيئته، التي تنطلق مِن شهواته المتفلّتة مِن أيّ ضوابط أخلاقيّة، وهذا ما أدّى بهم إلى تشريع ما يسمّى الزواج بين المثليين، وهو ليس في الحقيقة إلّا إلباس الرذيلة الأخلاقيّة، كاللّواط والسحاق، ثوب المشروعيّة بتبديل الألفاظ، وهذا فنّ يتقنه الجندريّون جيّدًا؛ لأنّه إذا أمكننا تسمية العقيدة الجندريّة باسم يُعبّر عن أحد عناصرها الأساس، فتكون هي: فنّ التلاعب بالألفاظ وفلسفة التلاعب اللفظيّ.

● **ثالثًا: موقف القرآن الكريم مِن المثليّة الجنسيّة**

يمكننا مِن خلال النصوص والآيات القرآنيّة ملاحظة أنّ اللّه تعالى قد بيّن لنا أوّلًا: أنّ النوع البشري ينقسم إلى ذكر وأنثى لا ثالث لهما، ثمّ أوضح لنا أنَّ العلاقة السليمة بين الذكر والأنثى، ينبغي أنْ تقوم على أساس رابط الزواج فقط، والذي يهدف إلى تحقيق أمور عدّة، منها: التناسل والتكاثر وإبقاء المشروع البشريّ ودوامه. هذه القاعدة التي تنطلق منها جميع الأديان السماويّة، لم تعد بذلك الوضوح لدى المنحرفين الّذين في قلوبهم مرض، لذا جنحوا نحو نسفها، وادّعوا -كما تبيّن- أنّ الهويّة الجندريّة قابلة للتغيير حسب مزاج الفرد وإرادته الحرّة في خياراته.

الجدير بالذكر أنّه ليس الدّين هو مَنْ يتفرّد بالإيمان بهذه القاعدة؛ أي انقسام النوع البشريّ إلى ذكر وأنثى، إنّما حتّى الأبحاث البيولوجيّة المعاصرة تؤكّد هذه الفكرة وتدافع عنها، ففي تصريح لعالم البيولوجيا الملحد ريتشارد دوكنز -الذي أشرنا إليه سابقًا في مبحث الإلحاد- مع الصحفيّ البريطاني الشهير بيرس مورغن، يقول دوكنز: «علميًّا، لا وجود لأيّ جنس ثالث غير الذكر والأنثى»[1]. ورغم ذلك، تصّر الأيديولوجيا الجندريّة على تجاوز المنطق العلمي والأبحاث البيولوجيّة، بذريعة أنّه لا

١ - لقاء (ريتشارد دوكنز) بالمذيع (بيرس مورغان) و الحديث حول الهويّة الجندريّة، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=-4dJxANqnyo

يمكـن التعامل مع فكرة الجندريّة برؤية علميّة فقـط، بل لا بُدَّ مِن احترام حقّ الإنسان في اختيار النوع الذي يريد أنْ يكون عليه.

وقـد حرّم الله تعـالى في كتابه العزيز كلّ أشـكال الانحـراف الجنسيّ والشذوذ، وخصوصًا المثليّة الجنسـيّة، قال اللّه تعالى: ﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾[سورة النمل: ٥٥].

إنّ نعتهـم بالجاهلـين لا يقف عند حدود جهلهم بالعلـوم الإلهيّة، إنّما يتخطّاها إلى بديهيّات العلوم الطبيعيّة، هذا الجهل الذي يتسـبّب بالعديد مِن المفاسد الأخلاقيّة والاجتماعيّة، نذكر منها:

أوّلًا: قيـام أسر منافيـة للفطرة الإلهيّة، حيث تتكـوّن الأسرة مِن أُمَّين أو أبّويـن، مخالفةً بذلـك الطبيعة التكوينيّة البشريّة، وخالقةً بيئة غير سـليمة وغير صحيّة للأطفال الّذين يتمّ الاعتداء على طفولتهم، حيث يزجّ بهم في تلك الأسرة الفاسدة (غالبًا عبر التبنّي).

ثانيًا: انتشار الأمراض الجنسيّة والاضطرابات النفسيّة الخطيرة في المجتمعات.

ثالثًـا: التعدّي على طفولة الأطفال مِن خلال تشـكيكهم بهوياتهم، ممّا يؤدّي إلى اضطرابهم وتدمير نفسيّاتهم.

ورابعًـا: والأهمّ: التعدّي عـلى البشرية مِن خلال قطع النسـل والتكاثر المحصـور في العلاقة الطبيعيّة بين الذكر والأنثى، وهو الأخطر؛ لأنّه يضرّ ببقاء البشريّة ودوامها.

المبحث الرابع:
النزعة الماديّة والانبهار بالثقافة الغربيّة

● أوّلاً: تحديد مفهوم النزعّة الماديّة

الماديّـة تطلق عـلى كلّ اتّجاه يؤمن بانحصار الوجـود في عالم المادّة، كالماركسـيّة والوجوديّة والوضعيّة وغيرها مِن الفلسفات الماديّة. والقول بـأنّ كلّ ما هو موجود خاضع لقوانين المادّة كالزمان، والمكان والتغيّر... وبالتـالي الفرد الماديّ هو كلّ مَنْ ينكر ما هـو غير ماديّ؛ أي غير خاضع للتجربة الحسيّة.

لكنَّ هذا المصطلح اتّسـع لاحقًا ليشمل كلّ فكرة تحاكي الواقع الماديّ لا سـواه وتنغمـس فيه، بمعنى أنّهـا أصبحت وصفًا لـكلّ فرد يبحث عن الملذّات الحسيّة ويتغاضى عمّا سـواها مِن القضايا المعنويّة أو الروحيّة، معتقدًا أنّ تحصيل المال أو المنصب أو اللّذة الجنسـيّة قادر على إشـباع رغباته وتحقيق أشواقه وإيصاله إلى برّ الاطمئنان والسعادة والكمال.

هذا الاعتقاد يؤدّي بصاحبه إلى بذل جميع جهوده ووقته مِن أجل تحقيق أهدافه الماديّة، هذا المجهود والوقت يستنزف طاقة صاحبه إلى أنْ يصل به إلى مرحلـةٍ يكون فيها غير قادر على رؤية أيّ شيء غير ماديّ، كالعلاقات

القائمة على أســاس البعد العاطفــيّ والمعنويّ مع العائلة والأصحاب، أو الاهتمام بصحّته النفسيّة التي تتدهور كنتيجةٍ طبيعيّةٍ لأسلوب حياته.

وبالتــالي، قــد يكون الفــرد الماديّ بهــذا المعنى معتقدًا بعــالم ما وراء الطبيعة، كأنْ يؤمن مثلاً بوجود اللّه تعالى، ولكنّه في حياته العمليّة لا يسعى إلاّ وراء إشــباع رغباته الماديّة ولذّاته الحســيّة، بحيث ينجرف تدريجيًّا مع أمواج المتعة الماديّة ويغرق في بحرها مِن دون أنْ يشعر.

● ثانيًا: مخاطر النزعة الماديّة على حياة الإنسان

ينبثق عن هذه النظرة الماديّة إلى الحياة مخاطر قِيَميّة عديدة، منها:

أوّلًا: إقصاء الحاجات النفسيّة التي لا تمتلك الطابع الماديّ، مثل الشعور بالسلام الداخليّ والحاجة إلى شريك معنويّ وروحيّ... وبالتالي ترك هذه الحاجات مِن غير إشــباع، ممّا يُحدِث خللاً في الشــخصيّة الإنسانيّة التي تندفع نحو الانحراف الســلوكيّ، ويؤدّي بطبيعة الحال إلى الفساد الفرديّ والمجتمعيّ.

ثانيًا: تجاوز كلّ المعايير الأخلاقيّة والدينيّة مِن أجل تحقيق الفرد الماديّ لأهدافه. فالشخصيّة الماديّة لا تجد رادعًا عن الفساد، أو السرقة، أو الزنا، أو تلقّي الرشــاوى أو الدخول في عالم القمار والرِّبا والتجارة بالخمور أو غيرها مِن الرذائل إذا ما كانت نتيجتها تعود بالفائدة الحسيّة والمتعة عليه.

ثالثًا: الابتلاء بآفة الحسد، إذ يتمنّى زوال النعم عن كلِّ مَنْ هم أغنى منه ماديًّا أو أرفع منه شأنًا ومنصبًا، وقد يؤدّي الحسد به إلى ارتكاب أيّ شيء يعود بالضرر والأذى على مَن هم أفضل منه ماديًّا.

رابعًا: عدم الاهتمام بحقوق الآخرين وكرامتهم، كأنْ يشارك في سلب حقوقهم ويساهم في ظلمهم بمد يد العون والمساعدة لأيّ ظالم أو طاغية مِن أجل تحقيق أهدافه ومكتسباته الماديّة.

خامسًا: استعداد الفرد الماديّ للتخلّي عن كرامته الشخصيّة، بل كرامة أفراد عائلته وأسرته كزوجته وأولاده، بل جميع المحيطين به، وبالتالي الخضوع والذلّ أمام أصحاب المال أو القرار أو السلطة القادرين على مساعدته للوصول إلى مآلاته الوهميّة.

في إشارة إلى هؤلاء يقول الإمام الحسين (ع): «الناس عبيد الدنيا، والدِّين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم»[1]. فهؤلاء الأفراد الماديّين، وإنْ كانوا بالمعنى العام مسلمين مثلاً، يسعون وراء سراب الدنيا الفانية، فيتخلّون عن دينهم ومبادئهم وكرامتهم إلى أنْ يصلوا إلى مقام الذلّ والهوان. والعبوديّة «عبيد الدنيا» تعني أنّ الدنيا هي التي تحرّكهم عبر أهوائهم، فيميلون وفق ما تدفعهم إليه دون إرادة مواجهتها والتغلّب عليها.

---

١ - ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٢٤٥.

● **ثالثًا: النزعة الماديّة عند المسلمين والانبهار بالحضارة الغربيّة**

نلاحظ تفشّي هذه الظاهرة في مجتمعاتنا الإسلاميّة، وذلك نتيجة للانبهار بالثقافة الغربيّة القائمة على العقيدة الماديّة التي سبق وتحدثنا عنها.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ هناك مفارقة عجيبة في علاقة بعض المتديّنين مع الحضارة الغربيّة، حيث إنّه يعيش حالة الانفتاح على الإنجازات الماديّة والتقنيّة وغيرها ويقبل بها ويسعى لامتلاكها، ولكنّه يعيش في الوقت نفسه حالة الانقباض تجاه السياسات الاستكباريّة لهذه الدّول تجاه العالم الإسلامي، فيناهضها ويقاومها أو يعارض أسلوب الحياة الذي تفرضه منظومتها الحضاريّة والثقافيّة. تتجلّى هذه المفارقة في أنّه ينظر إلى هذه الإنجازات الماديّة للحضارة الغربيّة على أنّها أدوات محايدة لا تتضمّن أيّ محتوى فكري أو ثقافي أو قيمي، لكنْ هناك أبحاث عدّة تدرس أثر التقنيّة والمنجزات الماديّة على التكوين الفكري والنفسي والأخلاقي للشخصيّة، ممّا يؤكّد أنّها ليست أدوات محايدة، بل تنطوي على ثقافة وتعبرِّ عن الروح الماديّة والدنيويّة للحضارة الغربيّة.

فالمجتمع الصناعي الرأسمالي الذي يمثّل روح الحضارة الغربيّة، قد خلق حاجات زائفة للإنسان، أو في الحدّ الأدنى تمكّن مِن تحويل الحاجات الثانويّة والكماليّة إلى حاجات ضروريّة ورئيسة في حياته، وعزّز بذلك النزعة الاستهلاكيّة عند الإنسان، وغذّى نزعة الفردانيّة، والميل إلى الراحة والدِّعة

والكسل، وثقافة التفاهة، وصوّر له أنّ الرفاه والسعادة يكمنان في الاقتناء والتملّك، بل في تجديد المُنتَج والتخلّص مِن المنتجات القديمة، كالاستغناء عن الهاتف واستبداله بجديد... إلخ، فيعيش الإنسان في دوّامة الاستهلاك ثمّ الاستهلاك ثمّ الاستهلاك حتّى ينقطع النفس. فمِن أجل المزيد من تلبية الحاجات الماديّة، يضطر الإنسان إلى بذل المزيد مِن الجهد والعمل لشراء المزيد، وهذا ينعكس على طبيعة العلاقات الاجتماعيّة والأسريّة؛ إذ يضعف حضور الرّجل العامل -في أكثر مِن عمل أو الذي يزيد مِن أوقات عمله بهدف تحصيل ما يستطيع به أنْ ينفق على متطلّبات الحياة- في أسرته واهتمامه بزوجته وأولاده وتربيتهم والعناية بهم، كما أنّه اضطرّ المرأة إلى الخروج إلى سوق العمل مع ما يترتّب عليه مِن تداعيات على الأسرة والحياة الزوجيّة، وكذلك اضطرّ الإنسان إلى الاقتراض الربويّ والغرق في الدّيون لتأمين سيارة فارهة -مثلاً- أو أثاث فاخر...، فهذه كلّها مِن لوازم الإنجازات الماديّة للحضارة الغربيّة، فهي كحبّات السّبحة التي تكرّ الواحدة تلو الأخرى، أو كتساقط أحجار الدومينو إذا سقطت واحدة تتبعها أخرى وهكذا، ممّا يعني أنّها ليست مجرّد أداة محايدة، بل تتضمّن في داخلها قيمًا متعدّدة تؤثّر على اتجاهات الإنسان في الحياة وأنماط تفكيره واهتماماته ورغباته و... التي تجذبه نحو الغرق في مستنقع الماديّة شيئًا فشيئًا مِن دون أنْ يشعر.

إنّ الحضارة الغربيّة، وقبل أنْ تخدع شعوبنا، قد خدعت نفسها فظنّت

أنّ ما وصلت إليه مِن علوم وتكنولوجيا ورأسمال... قادر على أنْ يمنحها الطمأنينة ويجعلها قابضة على العالم وخفاياه، إلاّ أنّها وبعد عصور تقف عاجزة أمام تفسير ظواهر غير ماديّة، مثل: الحدس، ووهم سبق الرؤية أو ما يعرف بالـ«ديجافو»، والاستبصار ورؤية المستقبل، والتواصل الروحيّ.

● عقدة النقص أمام الحضارة الغربيّة

بدأت الحضارة الغربيّة بتصدير أفكارها إلى عالمنا الإسلاميّ لإظهار حسن النيّة بحجّة مساعدتنا في مجالات الطّب والعلوم وغيرها، كخطوة أولى لإحكام سيطرتها الفكريّة على عقول شبابنا. هؤلاء الشباب المخدوعون تخلّوا عن دينهم فقط لكي يشعروا أنّهم مواكبون للعجلة الثقافيّة الغربيّة، وذلك نتيجةً لعقدة النقص التي ساهمت هذه الحضارة في غرسها ونموّها مِن أجل إشعار شبابنا بأنّهم مهزومون مِن الداخل، ومغلوب على أمرهم أمام عظمة هذه الحضارة الماديّة.

يقول ابن خلدون: « إنّ المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده؛ والسّبب في ذلك أنّ النّفس أبدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه، إمّا لنظره بالكمال بما وَقَرَ عندها مِن تعظيمه، أو لما تغالط به مِن أنّ انقيادها ليس لغلب طبيعيّ إنّما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك، واتّصل لها اعتقادًا، فانتحلت جميع

مذاهب الغالب، وتشبّهت به، وذلك هو الاقتداء، أو لما تراه -واللّه أعلم- مِن أنّ غلب الغالب لها ليس بعصبيّة ولا قوّة بأس، وإنّما هو بما انتحلته مِن العوائد والمذاهب تغالط أيضًا بذلك عن الغلب، وهذا راجع للأوّل. ولذلك ترى المغلوب يتشبّه أبدًا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتّخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله، وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم، كيف تجدهم متشبّهين بهم دائمًا، وما ذلك إلّا لاعتقادهم الكمال فيهم»[1].

وهذا يعني أنّ أحد عوامل الانحطاط الأخلاقيّ عند الأفراد والجماعات في بلداننا العربيّة والإسلاميّة، هو نتيجة الشعور بالهزيمة النفسيّة أمام مارد الرّجل الأبيض والحضارة الغربيّة، والذي يؤدّي إلى تقليده ومحاكاته في أسلوب حياته الماديّ وأخلاقه الدنيويّة. وقد استغلّ الغرب هذه الفرصة ليتلاعب بالعقول عبر أساليب كثيرة يمكننا تسميتها بـ»الذكيّة»؛ لأنّها حقّقت الهدف الذي يسعى وراءه أرباب الماديّة والرأسماليّة. ومِن أبرز الأساليب هي الدعاية والإعلان، وذلك يأتي بعد صناعة أسطورة العلامات التجاريّة أو ما يسمّى بالبرند (Brands) التي تشمل جميع مجالات الحياة مِن أطعمة وأشربة، وألبسة، وسيارات، وعقارات، وغيرها، حيث عمل على إقناع المجتمعات عبر إعلاناته بأنّ امتلاك السيارة -مثلاً- التي تحمل هذه العلامة

١ - ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ج١، ص١٨٤.

التجاريّة أو تلك، سوف يجلب لك الراحة والرفاهية والسعادة، وهذا بالطبع ينطبق على جميع ما ذكرناه مِن مجالات (طعام، ألبسة، عقارات، أثاث...).

هذه الإعلانات التي تتلاعب بالعقول تترك الشاب يتخبّط ويسعى مِن أجل هذا الوهم والسراب، الذي أقنعوه أنّه سيحقّق سعادته بلا شكّ، فيظلّ مُتعلِّقًا بهذا الحلم، ويسعى وراءه سعيًا يُلهيه ويُشتّته عن كلّ ما لا يوصله إلى حلمه، وبالتالي تحقيق سعادته ورفاهيته. نتج عن هذا التقليد الأعمى تفكّك وتهشّم المجتمع الإيمانيّ؛ إذ بدأ كلّ فردٍ فيه يسعى جاهدًا وراء مصالحه الشخصيّة، متغاضيًا عن مجتمعه وقيمه، أضف إلى ذلك العادات والسلوكيّات المنتشرة والمشرّعة في القوانين الغربيّة، كالزنا والشذوذ وشرب الخمر وتعاطي المخدّرات والرِّبا والقمار و...، تلك التي أتقنت مجتمعاتنا استيرادها مِن الغرب.

إنّ الاستيراد مِن الثقافة الغربيّة كان يمكن أنْ يأتي بنتائج إيجابيّة لو أنّه كان استيرادًا انتقائيًّا؛ أي قائمًا على غربلة وفرز مكتسبات الحضارة الغربيّة باختيار ما هو إيجابيّ منها ويعود بالفائدة على مجتمعاتنا، كاستيراد الأبحاث العلميّة أو التقنيات الصناعيّة المتطوّرة أو ما إلى ذلك، ورفض ما يضرّ بقيمنا وأخلاقنا ومفاهيمنا.

لكنْ مِن شديد الأسف أنّ مجتمعاتنا، ولأسبابٍ سيكو-سوسيولوجيّة عديدة، اختارت استيراد هذه الآفات وتلك الرذائل بدل ما يعود بالنفع والفائدة عليها وينسجم مع قيمها.

الفصل الثاني:

تأثير أدوات التلاعب بالعقول على الانحطاط الأخلاقيّ

المبحث الأوّل:
القوّة الناعمة والغزو الثقافيّ

● أولاً: ما هي القوة الناعمة ؟

القـوّة الناعمة (Soft power) هو مفهـوم صاغه جوزيف ناي[١] لوصف القدرة على الجذب والضمّ، دون الإكراه أو استخدام القوّة كوسيلة للإقناع والتأثـير على الـرأي الاجتماعيّ العام وتغييره[٢]. كما تعنـي القوّة الناعمة أنْ يكـون للكيان قـوّة معنويّة مِن خلال ما يجسّـده مِن أفـكار، ومبادئ، وأخـلاق، ومِـن خلال دعـم الكيانـات الأدنى منه في مجـالاتٍ عديدة، كالمجـال الإنسـانيّ والفنيّ وغـيره، ممّا يؤدّي بشـعوب هـذه الكيانات النامية إلى احترام هذا الأسـلوب والإعجاب به، ثمّ اتّبـاع مصادره والتأثّر

١ - عميد سابق لمدرسة جون كينيدي الحكوميّة في جامعة هارفارد. أسّس بالاشتراك مع روبرت كوهين مركز الدراسات الليبراليّة الجديدة في العلاقات الدوليّة. وتولّى مناصب رسميّة عدّة، منها: مساعد وزير الدّفاع للشؤون الأمنيّة الدوليّة في حكومة بل كلينتون ورئيس مجلس الاستخبارات الوطني. عُرف بابتكاره مصطلحي القوّة الناعمة والقوّة الذكيّة، وشكّلت مؤلّفاته مصدراً رئيسًا لتطَوير السياسة الخارجيّة الأمريكيّة في عهد باراك أوباما.

٢ - ناي، القوّة الناعمة، ص١٢.

بهـا، بحيث يصبح ما تريده الكيانات الكبرى هو نفسـه ما تريده شـعوب الكيانات الأدنى وما يسمّى «العالم النامي».

لا يـكاد مصطلح الغـزو الثقافيّ ينفكّ عن القوّة الناعمـة، فمِن خلاله أيضًا يمارس العالم الغربيّ الاستكباريّ غزوه للعقول والقيم على مجتمعات «الدول النامية» أو ما يسمّى «دول العالم الثالث»، ومِن ضمنها دولنا الإسلاميّة.

● ثانيًا: الـ المنظّمات غير الحكوميّة (NGOs) مِن أدوات القوّة الناعمة

يغزو الغرب عالمنا ثقافيًا بأدواتٍ سلسـة وذكيّة تكاد لا تعدّ ولا تحصى؛ لأنّها تشـمل تقريبًا مجالات الحياة الاجتماعيّـة والثقافيّة كافةً. نأتي على ذكـر بعضٍ منهـا وتفنيده بهدف تكويـن صورة عن تلـك الأدوات، منها: المنظّـمات غـير الحكوميّـة (NGOs): انتـشرت هـذه المنظّـمات ذات الوجهين في الـدول النامية، مُظهِرةً وجهها الإنسـانيّ والإغاثيّ، ومضمرةً وجهها الآخر كوسيلة مِن وسائل الغزو الثقافيّ.

لقد شـكّلت الأزمات الاقتصاديّة التي تعاني منهـا دول العالم الثالث -والتي سـبّبتها الـدول الغربيّـة بنهبها ثـروات البلاد عـبر الاحتلالات المتتابعة لبلادنا، وبَنت إمبراطوريّاتها على ركام وطننا الإسـلاميّ- صيدًا ثمينًا لتلك المنظّـمات، التي تغلغلت في مجتمعاتنا مسـتغلّةً الأوضاع

المعيشـيّة الصعبة للشعوب، وبدأت بدسّ سـمومها تحت مظلّة العمل الإنسـانيّ المُشرَّع مِـن قبل دول الغـرب الكبرى، فضلاً عـن وظائفها الاستخباراتيّة والأمنيّة.

صبّـت هذه المنظّـمات جهودها على تغيير القيـم والمفاهيم، وذلك مِن خلال اسـتقطابها لطلّاب الجامعات والمدارس الّذين زرعت في أنفسـهم الدوافـع نحو التمـرّد على مجتمعهـم وعائلاتهم، هذا التمـرّد الذي تطويه تحت ألفاظ الحريّة والديمقراطيّة، لكنَّ أخطر ما مارسته تلك المنظّمات هو جذب الشباب نحو الأفكار العلمانيّة واللّيبراليّة، تلك الأفكار التي في الحدّ الأدنى تخلق الشكّ والشبهات في أذهانهم، وفي الحدّ الأقصى تحرفهم عن صراط الإسـلام المستقيم وتهوي بهم نحو التمرّد على قيم المجتمع وثقافته الدينيّة. وثمّة نماذج كثيرة تؤيّد هذه الفكرة، نكتفي بعرض ثلاثة منها:

١. النموذج الأوّل: الترويج لثقافة الشذوذ الجنسيّ والمثليّة:

حيـث نلاحظ أنّ بعـض الجمعيّـات في الوطن العربيّ تدعم الشـذوذ الجنسيّ وزواج المثليّين مِن خلال مجموعة إجراءات، مثل: الترويج لعَلَم المثليّـين، وتنظيم الاحتفالات وإقامة التجمّعـات الخاصّة بهم، بل ودفع الأموال للمثليّين والشّاذّين، خارقةً بذلك الآداب والقيم الدينيّة الإسلاميّة، ومهـدّدةً لثقافة المجتمـع، فمثلاً كشـفت معلومات حصـل عليها موقع

«العهد الإخباريّ» أنّ «عددًا مِن المنظّمات العاملة على مساعدة اللاّجئين السـوريّين في لبنان، باتت تدعم وتغطي حالات «الشذوذ» في مؤسّساتها تحت مسمّى: تقبُّل الآخرين ودعم الأشخاص الأكثر عرضةً للخطر.

وتتقاطع تلك المعلومات مع عشرات الشكاوى التي يتناقلها الموظّفون داخل تلك الجمعيّات مِن سـوء المعاملـة والضغوطات التي يتلقّونها مِن قبل إدارة المنظّمات للسير بهذا المشروع، ممّا يضطّرهم إلى الاستقالة مِن عملهم وخسارة فرصة عملهم أو الرضوخ للضغوطات التي تُفرَض عليهم في تقبّل هذا النوع مِن الشذوذ عبر كمٍّ أفواههم.

ولا تكتفي الجمعيّات الداعمة للمشروع الخطير بالدَّعم اللوجستيّ فقط، أو بتوفـير الحماية لأولئك الأشـخاص ودعمهم، بل ثمّـة أموال طائلة باتت تُدفع لأولئك الشاذّين الذين يُعلنون انضمامهم إلى هذه الحالة، أو يجاهرون بهذا الشـذوذ، وتتخطّى المبالغ المدفوعة الألـف دولار لتصل إلى ٤ آلاف دولار، فيما تحظى الجمعيّات التي تُعلن تبنّيها دعم حالات الشذوذ بعلاقات مع السّفارات والمُنظّمات، ممّا يدرُّ عليها مئات الخدمات والمشاريع»[1].

١ - محمّد ملص، طرابلس.. منظّمات وجمعيّات أجنبيّة لدعم «الشذوذ»، على الرابط: https://sports.alahednews.com.lb/article.php?id=50296&cid=125

٢. النموذج الثاني: محاربة الزواج المُبكّر:

فمثلاً بعض الجمعيّات الحقوقيّة النسائيّة تسلّط الضوء على الانعكاسات السلبيّة لتزويج الفتيات قبل سنّ الثامنة عشر على الصعيدين الشخصيّ والمجتمعيّ. فتقول إحدى الناشطات في هذا المجال: « قبل سنّ الثامنة عشر، يُعتبرَ أنّه مِن المُبكر أنْ تقود فتاة سيارة أو أنْ تُوقِّع على أيّ وثيقة رسميّة، وبالتالي فإنّه مِن المُبكر عليها أنْ تتزوّج وأنْ تنجب أطفالاً وتهتّم بتربيتهم وأنْ تكون مسؤولة عن قراراتها وخياراتها»[1].

لكنْ في الرؤية الإسلاميّة، نلاحظ أنّ ثمّة حثًّا شديدًا على الزواج المبكّر للفتاة، باعتبار أنّها تبلغ السنّ البيولوجيّة للزواج مُبكّرًا، مضافًا إلى أنّ الزواج هو طريق لتعفّف الفتاة وابتعادها عن الكثير مِن المحرّمات، خصوصًا أمام التحدّيات التي يفرضه واقعنا المعاصر، وبالتالي تؤدّي هذه الدعوة من قِبَل بعض الجمعيّات النسائيّة إلى تأخير سنّ الزواج، مع ما يترتّب عليه مِن مخالفات للحياء والعفّة كقيم دينيّة عليا في حياة الفتاة.

٣. النموذج الثالث: تمكين المرأة:

وذلك عبر استقطاب هذه الجمعيّات لربّات المنزل والأمّهات، اللّواتي

---

١ - كارين طربيه، زواج القاصرات، جمعيّات تحارب سلطة رجال الدين في لبنان، على الرابط: https://www.bbc.com/arabic/middleeast-46521396

عملت على تحريضهنّ على أزواجهنّ وعائلاتهنّ تحت ذرائع تمكين المرأة وحريّتها وحقوقها، وأقنعتهنّ أنّ الإسلام لا يضمن لهنّ هذه الحريّة وتلك الحقوق، فلا بدّ لهنّ من اللّجوء إلى تشريعات وقوانين وضعيّة بهدف تحصيلها. وقد أثبتت التجربة أنّ كثيراً من الزّوجات قد تأثّرن بهذه الثقافة، ممّا أدّى إلى توليد العديد من المشكلات داخل بيت الزوجيّة والأسرة بسبب تجاوز بعض النساء للقيم الدينيّة الحاكمة على الأسرة، كقواميّة الرجل، وأولويّة إدارة المنزل والاهتمام بالأسرة، فصارت تتعاطى مع الزوج من موقع النديّة الذي يُعارض منطق كون جهاد المرأة في حسن التّبعل، وتنظر إلى أسرتها من موقع ثانويّ.

وهذا ما يؤدّي إلى ابتعاد الفئة المتأثّرة بخطاب هذه الجمعيّات عن القيم الدينيّة والانخراط في سلك القيم الغربيّة والتحرّر من أخلاقيّات الدّين، وبالتالي الانحلال الأخلاقيّ والانحطاط القيميّ.

● ثالثًا: المناهج التعليميّة والمدارس الأجنبيّة

ساهم الاحتلال الغربيّ لبلادنا بشكلٍ كبيرٍ في صنع وصياغة المناهج التعليميّة والتربويّة فيها، فركّز بشكلٍ رئيس على تهميش لغتنا العربيّة واستبدالها بلغة المحتلّ. لكنَّ الأخطر من ذلك هو صياغة تاريخ البلاد حسب مصالح ورؤى المستعمِر، فالطالب الذي يتربّى ويتمّ إقناعه أنّ

المحتـلّ أو المنتَدِب -حسـب مصطلحاتهم- هو الـذي بنى دولته وكانت له اليـد العليا في نموّها وازدهارها، سيشـعر تلقائيًّـا بالدونيّة تجاه الكيان الذي كان مسـتعمِرًا لبلاده في يوم من الأيّام، فضلاً عن شـعوره بالحاجة إلى الاقتـداء بهذا الكيان وتقليد كلّ ما فيه مِـن مفاهيم وقيم وأنماط حياة تتعارض مع القيم الإسلاميّة.

هذه الدونيّة التي صنعها الاحتلال الغربيّ، أنتجت قومًا توّاقون إلى الثقافة الغربيّـة، فأصبح أفراد مجتمعاتنا يبحثون جاهديـن عن المدارس الأجنبيّة ليُشرّبوا أولادهم تلك الثقافة، لعلّها تجلب لهم المكانة الاجتماعيّة الرفيعة.

● رابعًا: التيّارات الإسلاميّة المُنحرِفة

إنّ المشـاريع الاسـتكباريّة ومؤامراتهـا لَم تقف عند حـدّ، فقد وصلت إلى إنشـاء وخلق مجموعات تدّعـي التديّن، فبدأت تلـك المجموعات ببثّ المعلومات العقائديّة المغلوطـة والمعطيات التاريخيّة المزوّرة. هذا التحريف والتزوير إنّما يحاكي مصالح الجهات المشغّلة.

مِـن أبرز وأهـمّ القضايا التي عملـت عليها تلك التيّـارات هي خلق ما يسـمّى بالـ«الإسلام المعتدل»، هذا الإسـلام الذي لا يجد أيّ مشكلة في التعايـش مع الغرب الكافر (الكيانات الغربيّة والـدول)، وتبادُل المصالح معـه والتطبيع مع العدوّ الإسرائيليّ والانفتاح على القيم الحضاريّة الغربيّة

التي تُعارض الإسلام. لقد أنتج هذا «الإسلام المعتدل» شبابًا مثبّطًا عن الجهاد وميّالاً كلّ الميل إلى القيم الغربيّة، مضافًا إلى إيجاد ودعم بعض التيّارات الدينيّة التي تهدف إلى تغذية الشرخ بين الطوائف الإسلاميّة وتعزيز الفرقة والتشتّت بهدف خلق بيئة صراع داخل الأمّة لحرفها عن التوجّه نحو التصدّي لخطط الغرب ومشاريعه التي يحيكها للمنطقة، وإلهاء أبناء أمّتنا في خلافات داخليّة على حساب قضاياهم الكبرى.

وفي نهاية المطاف، وحين تسيطر هذه الثقافة البديلة، لا بدّ أنْ تترك آثارها المدمِّرة على المجتمعات التي تفقد استقلاليّتها واحترامها لذاتها، فضلاً عن فقدانها للثّقة بنفسها، وهذا ما يحول دون تطوّرها في شتّى المجالات. لكنّ الخطر الأهمّ الذي يطرأ على هذه المجتمعات، هو فقدان أيديولوجيّتها واستبدالها بأخرى لا تحاكي قيمها الدينيّة ولا عقيدتها ولا إيمانها.

ونشير أخيراً إلى أنّه مِن أهمّ الأدوات التي تُستعمل في مجال نشر الانحطاط الأخلاقي:

- وسائل الإعلام، وهي ستكون موضوع المبحث الثاني.
- ووسائل التواصل الاجتماعيّ، ستكون موضوع المبحث الثالث.

المبحث الثاني:
وسائل الإعلام والإنتاج التلفزيوني والسينمائي

● أوّلاً: وظائف وسائل الإعلام

تلعب وسائل الإعلام دورًا سحريًّا في غرس الأفكار التي تريدها في اللاّوعي لدى المتلقّي، إنْ كان عبر البرامج أو الصحافة أو السينما.... ولا تقتصر قدرة هذه الوسائل على زرع أفكار جديدة لدى المُتابِع فقط، بل حتّى هدم الأفكار المُكتسبة مسبقًا وتغييرها بشكل جذريّ.

وهذا يحيلنا إلى التوقّف ولو بصورة موجزة عند وظائف وسائل الإعلام والسينما في التأثير على عقيدة الجمهور وصناعة الرأي في ضوء النظرات التي طرحها خبراء الإعلام، مثل: هارولد لاسويل، ولازارسفلد، وليزلي مويلز، ودوفلور... وغيرهم[1]، نعرض منها:

- نقل التراث الاجتماعي والثقافي مِن جيل إلى آخر.
- نقل القيم والعادات والتقاليد إلى أفراد المجتمع.

---

١ - صالح خليل أبو أصبع، الاتصال الجماهيري، ص١٦٣.

- الأخبار والتزويد بالمعلومات.
- الترفيه.
- التسويق.
- التغيير الاجتماعي.
- تنميط المجتمع.
- إعادة بناء الواقع.
- تكوين الاتجاهات.
- ترتيب الأولويّات.
- توسيع أنساق معتقدات الناس... إلخ.

وهذا يرسم لنا بشكل واضح مدى قوّة تأثير وسائل الإعلام في السيطرة على العقول وتغيير العادات وغرس القيم وتحويل المعتقدات. ولا شكّ في أنّ بعض هذه الوظائف لوسائل الإعلام هو مِن منظار محليّ -كما لو كانت الوسيلة أمريكيّة أو فرنسيّة مثلاً- قد يكون أمرًا إيجابيًّا بالنسبة لمواطني هذه الدول الّذين تتوجّه وسائل الإعلام بمخاطبتهم، ولكنْ هي بعينها تكون بالنسبة لأبناء مجتمعنا سلبيّة وتلعب دورًا هدّامًا؛ وذلك لأنّنا ننتمي إلى عقيدة وقيم وعادات وتقاليد مختلفة، وعندما يتابع الجمهور في وطننا العربيّ والإسلاميّ تلك الوسائل، فإنّه سينفعل بها ويتأثّر مع ما تقدّمه مِن رسائل ومواد، وإنْ بطريقة غير شعوريّة، فيصبح يفكّر بطريقة

مشـابهة، أو تثار في ذهنه مجموعة مِن الشّـبهات والالتباسـات، أو يتأثّر بعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم الاجتماعيّة فيحاكيها ويقلّدها ويتقمّصها.

ومِن الجدير بالذكر أنّ وسـائل الإعلام الغربيّة المؤثّرة في تشـكيل وعي الجماهـير، تمـدّدت لتصبح إمبراطوريّات إعلاميّة، فأنشـأت مؤسّسـات تابعة لها ناطقة باللغة العربيّة، وهذا أسـلوب ذكيّ يُشعِر المشاهد بأنّ هذه الوسـائل إلى جانب قضاياه وهمومـه، فتجعله مِن المتابعين لها كي تدسّ السمّ في العسل.

كما أنّ بعض الشركات العربيّة والإسـلاميّة عملت على إنشاء مؤسّسات إعلاميّـة خاصّـة بها، تحتـوي على برامـج سياسـيّة واجتماعيّـة وثقافيّة وترفيهيّـة... إلـخ، لا تقلّ خطورة عن وسـائل الإعـلام الغربيّة، بل يمكن القول إنّها أخطر منها باعتبار الأفراد العاملين فيها مِن حضن هذا المجتمع وبيئته، ممّا قد يمنحهم مشروعيّة وثقة أكبر لدى الجمهور والمشاهدين.

● ثانيًا: البرامج الثقافيّة أو السياسيّة أو الاجتماعيّة

يتركّز عمل هذه البرامج على تزوير الحقائق وغرس المعلومات المشـوّهة في أذهان المتابعين الّذين لا يُكلّفون أنفسهم بالتدقيق أو البحث، بل يمارسون دور المتلقّي الساذج فحسب في غالب الأحيان، خصوصًا إذا ما كانت تلك الوسـائل الإعلاميّة تحظى بطابعٍ غربيٍّ، وذلك نتيجةً للتغريب الفكري الذي

مارسه الغرب عبر العصور، وكم مِن البرامج الثقافيّة، بل وحتّى السياسيّة، تروّج للانحطاط الأخلاقي في لغة الخطاب والمشاهد والمضمون.

● **ثالثًا: صناعة الأفلام والمسلسلات**

تُعدُّ هذه الوسيلة أخطر مِن غيرها، وذلك بفعل انتشارها الواسع وسهولة تغلغلها في كلّ بيت عبر التلفاز وغيره، بالإضافة إلى استهدافها لفئة الشباب سريعي التأثّر والانفعال، كما أظهرت ذلك دراسات عدّة، منها دراسة جزائريّة تحت عنوان: «تأثير المسلسلات المُدبلجة على الأسرة العربيّة»، للباحثة شمسيّة خلوي، أُجريت عام ٢٠١٤ على عيّنة مِن ٢٠٠ طالب وطالبة في المدارس الثانويّة الجزائريّة، وكذلك دراسة أردنيّة تحت عنوان : «أثر المسلسلات التركيّة التي تُعرض على الفضائيات العربيّة على المجتمع الأردنيّ»، للباحثة منال مزاهرة، أظهرت نتائجها ارتفاع مشاهدة الفضائيّات العربيّة التي تبثّ المسلسلات التركيّة بنسبة بلغت ٩١٪، بسبب أنّ هذه المسلسلات هي الأكثر تأثيراً بفعل مشاهدها العاطفيّة التي تركّز على الرومانسيّة. كما أظهرت دراسات عديدة مدى تأثير هذه المسلسلات والأفلام في ثقافة المشاهدين واتجاهاتهم وسلوكيّاتهم، حيث تكوّن المسلسلات والأفلام صورة جذّابة -بالنسبة للشباب والمراهقين- عن أنماط الحياة المتحرّرة والمليئة بالرفاهية، تلك الحياة الخالية مِن أيّ اعتبار أو معيار دينيّ أخلاقيّ مِن خلال تكرار عرض هذه

الأنمـاط على أذهان الشـباب وتصويرها على أنّها حالـة طبيعيّة ومقبولة، تتمركـز هذه الأفكار في اللاّوعي لدى المتلقّي، ويبدأ شـيئًا فشـيئًا يتطبّع معها إلى أنْ يصل به الأمر تراكميًّا إلى محاكاتها وممارسـتها. عادةً ما تبدأ هذه الممارسات (مثل: الخيانة الزوجيّة، والجريمة، والسرقة، وجمع الثروة مِن أسـاليب غير مشروعة، ولعب القمار، والمساكنة، والشذوذ الجنسيّ، وتهميـش الدّيـن، والإجهاض، والـزواج المدنيّ، والتمييـز الاجتماعيّ، والأزيـاء غير المحتشـمة، والاختلاط السـلبيّ، والتهرّب مِـن الواجبات العائليّة، واستقلاليّة الأبناء وحريّتهم غير المقيّدة، والقدوة السيّئة، والتبرير لفكرة المسـاواة بين الرّجل والمرأة، وتفـكّك الأسرة، والطلاق، والتهاون بالواجبات الدينيّة ... وغيرها) بشـكلٍ خفي، ولكـنْ بعد فترة تأخذ طابعًا علنيًّـا؛ وذلك بسـبب انتشـارها في المجتمع وتدجّن أفـراده على قبولها. هكذا يتفشّى الفسـاد في المجتمع بشـكلٍ تدريجيّ إلى أنْ يصل إلى مقامٍ خالٍ مِن أيّ معيار دينيّ، ويصبح صورةً تعكس ما يعرض على الشاشات.

ولا بدّ مِن ذكر دور المسلسلات والأفلام في صناعة شخصيّة البطل التي تجذب المراهقين، تلك الشـخصيّة التي يبرزون بعض صفاتها كالشجاعة والبطولـة أو الجـمال، لكـنْ في الوقت نفسـه تمارس الزنـا أو السرقة أو شرب الخمر، إلاّ أنّهم يعملون على تلميع هذا الجانب السـيّئ بإبراز تلك الصفات الجذّابة، لكنّ المتلقّي الذي لا يملك وعيًا يخوّله انتقاء الصفات

الحسنة -إلى حدٍّ ما- يبدأ بتقليد شخصيّة البطل بكلّ جوانبها مِن دون أنْ يشعر.

المبحث الثالث: وسائل التواصل الاجتماعيّ

● أوّلاً: انتشار وسائل التواصل الاجتماعيّ

أصبحت وسائل التواصل الاجتماعيّ، وبفعل انتشارها الواسع، جزءًا لا يتجزّأ مِن حياتنا اليوميّة، فهي في متناول الجميع، وذلك لسهولة الوصول إليها؛ إذ إنّها لا تحتاج إلّا لجهاز إلكترونيّ (حاسوب أو هاتف محمول) وشبكة إنترنت، ونادرًا ما يمكن أنْ نجد إنسانًا لا يحمل في يده هاتفًا في أيّامنا هذه، وبالتالي فكلّ إنسان هو على خطوط التواصل المباشرة مع وسائل التواصل الاجتماعي وحاضر فيها، سواء الفيس بوك أم منصة أكس أم الواتس آب... إلخ. ولا شكّ في أنّ لهذه الوسائل إيجابيات عدّة، يلاحظها كلّ منا في حياته اليوميّة، فقد سهّلت على كثير مِن الطلّاب في المدارس والجامعات آليّات الوصول إلى المعلومات بسهولة، كما أنّها اختصرت المسافات البعيدة بين الأهل والأحبّة، بالإضافة إلى أنّها أصبحت وسيلة ضروريّة جدًّا في مهن مختلفة... إلخ مِن الإيجابيات التي هي ليست

موضع بحثنا؛ لأنّنا سنركّز على ما يتعلّق بالقضيّة التي نبحثها؛ أي تأثير هذه الوسائل على الانحطاط الأخلاقيّ والقيميّ في المجتمع، فقد تركت تلك الوسائل الكثير مِن التأثيرات السلبيّة على مجتمعاتنا نتيجةً لسوء استخدامها.

● **ثانيًا: وسائل التواصل الاجتماعي واستنزاف الوقت المثمر**

إنّ تأثيرات وسائل التواصل الاجتماعي عديدة، نلقي نظرة مختصّة على نموذجين: أوّلاً: استنزاف الوقت.

يمثّل الوقت موردًا مهمًّا مِن موارد الإنسان، فالوقت هو الوعاء الّذي يؤدّي فيه الإنسان أعماله ويمارس فيه نشاطاته، وللوقت خصائص ومميّزات كثيرة، مِن أهمّها أنّه ليس عنصرًا خاضعًا لاختيار الإنسان، فإذا انصرم جزء مِن الوقت وانقضى، لا يمكن للإنسان تعويضه بأيّ شكلٍ مِن الأشكال، ولذا نلاحظ أنّ الأحاديث النبويّة وروايات الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ركّزت كثيرًا على حسن الاستثمار في الوقت والاستفادة منه، وممّا ورد في هذا السياق أنّه أوّل ما يسأل عنه الإنسان في قبره عن عمره فيما قضاه وأفناه؛ أي عن هذا الوقت الذي عاشه كيف عاشه، ومِن الروايات أيضًا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّما أنت عدد أيّام، فكلّ يوم يمضي عليك يمضي ببعضك»[1].

---

١ - الآمدي، غرر الحكم، ح٣٨٧٤.

ويكفي في الدلالة على أهمّية الوقت، هو أنّه أوّل ما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة، فقد ورد في بعض الأحاديث النبويّة: « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يسأل عن عمره فيم أفناه؟»[١].

وهذا يؤكّد ضرورة احترام الوقت واستثماره بشكلٍ إيجابيّ والاستفادة منه بما يعود بالنفع على الإنسان، بنحو يُحقّق الهدف الوجود الذي خُلق لأجله، وهو معرفة الله وعبادته وخدمته تعالى، كما ورد في دعاء كميل بن زياد: «يا ربّ أسألك بحقّك وقدسك أنْ تجعل أوقاتي مِن الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة».

وممّا يؤكّد أيضًا أهميّة الوقت، ما ورد في ضرورة أنْ يؤدّي الإنسان صلاته في وقتها المحدّد، ولا يشغله عنها أيّ شاغل، فمثلاً عن الإمام عليّ (عليه السلام): «ليس عمل أحبّ إلى اللّه عزّ وجلّ من الصلاة، فلا يشغلنكم عن أوقاتها شيء مِن أمور الدنيا، فإنّ اللّه عزّ وجلّ ذمّ أقوامًا فقال: ﴿**الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾[سورة الماعون: ٥] يعني أنّهم غافلون استهانوا بأوقاتها»[٢].

في الوقت الذي نلاحظ فيه أنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ تشغل حيّزًا كبيرًا مِن أوقات مستخدميها، بنحو يؤدّي الإدمان عليها أو الالتهاء بها إلى

١ - الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص٦٢٢.
٢ - الصدوق، الخصال، ج٢، ص٦٢١، ح١٠.

الغفلة، بينما كان مِن الأجدر بهم استغلاله للقيام بالواجبات في أوقاتها، كالصّلاة مثلاً والمستحبّات الدينيّة، أو حتّى اكتساب العلم النافع الذي يعود بالفائدة على الفرد وعلى مجتمعه.

- **ثالثًا: صناعة المؤثّرين (Influencers)**

انتشرت ظاهرة المؤثّرين عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ بشكلٍ كبيرٍ، المؤثّرين الّذين يعرضون أسلوب حياتهم المليء بالسفر والمنتجات الثمينة...، نخصّ بالذكر المؤثّرات النساء؛ لأنّهنّ الأكثر شيوعًا، حيث تسعى المؤثِّرة إلى إبراز نموذج مثاليّ عن الجمال والمظهر الخالي مِن العيوب، بالإضافة إلى نشرها أسلوب حياتها الباذخ، الذي يتمثّل بالمجوهرات والعطور والمنتجات الجماليّة باهظة الثمن والألبسة ذات العلامات التجاريّة العالميّة... ومع شديد الأسف، تحظى المؤثّرات بالملايين مِن المتابعين والمتابعات اللّواتي يبدأن بمتابعتهنّ بشكلٍ يوميّ، فيتأثّرن بهنّ تدريجيًّا، ومِن هنا تبدأ رحلة معاناة المتابعات، خصوصًا المراهقات منهنّ. إنّ المتابعات ذوات الوعي المتدنيّ يتلقّين تلك الصورة النمطيّة المثاليّة عن الجمال مِن دون إدراك أنّ تلك الصورة ليست حقيقيّة، بل هي نتاج لعمليّات تجميلٍ كثيرة أو حتّى مؤثّرات بصريّة أو فوتوشوب.

في المرحلة الأولى تبدأ الفتاة بالشعور بأنّها غير راضية عن مظهرها الخارجيّ، ثمّ يمتدّ شعور عدم الرضا إلى أنْ يصل إلى كلّ حياتها التي لا تشبه حياة المؤثّرات

التي يصدّرنها عبر مواقع التواصل. تلك الفتاة التي يتملّكها شعور عدم الرضا، تبدأ بالسعي إلى تغيير حياتها بشتّى الوسائل، حتّى غير المشروع منها.

ونلفت إلى نشر المؤثّرات للسفور والتبرّج المحرّم إسلاميًّا، لكنْ بفعل انتشاره وتصويره كأمرٍ مقبولٍ في المجتمع، بات يتغلغل في عقول ونفوس الفتيات اللّاتي يشعرن بأنّه لا بدّ لهنّ مِن السفور والتبرّج مِن أجل إبراز أنوثتهنّ وجذب الأنظار.

وفي السياق نفسه، لا بدّ مِن الإشارة إلى نوعيّة أخرى مِن المؤثّرين التي تتمثّل بالمؤثّرين الّذين ينشرون مواضيع اجتماعيّة وسياسيّة عامّة. تمتاز هذه النوعيّة عن تلك التي سبقتها بأنّها تحظى بمتابعة الشباب والفتيات على حدٍّ سواء بفعل المواضيع التي تناقشها. تلك الطائفة مِن المؤثّرين لديها القدرة على تمرير ما تريد مِن الرسائل والمعلومات المضلّلة؛ لأنّها تحظى بثقة المتابعين في غالب الأحيان.

فلنأخذ الحملة المسعورة التي شنّها ناشطو وسائل التواصل الاجتماعيّ مِن العرب والعجم على الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بالإضافة إلى الحجاب والإسلام قاطبةً إثر حادثة وفاة الفتاة «مهسا أميني» في مركز الشرطة. تلك الحادثة التي شكّلت صيدًا ثمينًا لهؤلاء الناشطين ليمرّروا أجنداتهم المعادية للإسلام، فبدؤوا بنشر الأكاذيب حول قتل الفتاة مِن قبل الشرطة؛ لأنّها لم تكن ترتدي الحجاب الشرعيّ، كما أنّهم لم يكتفوا بذلك بل وسّعوا حملتهم

لتشـمل أسماء وصورًا يدّعون أنّها لشـباب وفتيات تمّ قتلهم على يد السلطة. وللأسـف هذه الدعاية لقت رواجًا وانتشارًا في العالم، رغم نشر الفيديو الذي يوثّق لحظة سقوط الفتاة دون مسٍّ مِن أحد، بالإضافة إلى تقصّي بعض الشباب المسلم في إيران عن أسماء القتلى التي تمّ نشرها، فتبيّن أنّ غالب هؤلاء الّذين تمّ نشر أسمائهم على أنّهم قُتِلوا، لم يكونوا موجودين في إيران أصلاً.

- **رابعًا: تفكّك الروابط الأسريّة**

ينشـغل أفراد الأسرة الواحدة عن بعضهم البعض لفترات طويلة يقضونها على وسـائل التواصل الاجتماعيّ، نتيجـةً لذلك يتقلّص التواصل المباشر بين أفراد العائلة التي مِن المفترض أنْ تتمتّع بمساحة تواصل كبيرة مِن أجل تحقيق حياة أسريّة سعيدة ومترابطة، وهذا يؤدّي تدريجيًّا إلى إيجاد حالة مِن التباعـد العاطفيّ بين أفراد الأسرة وضعف التواصل المباشر بين أفرادها أو اهتمام بعضهم بالبعض الآخر أو السـؤال عن حاجاته والتحديّات الحياتيّة التـي يواجهها أو المشـكلات التي تعترض هذا الفـرد أو ذاك، وبالأخصّ تلك التي تتعلّق بالجوانب الإيمانيّة والدينيّة. هذا مع أنّ الإسـلام قد أعطى الأولويّة للاهتمام بالأسرة وشـؤونها والترابط الرحيـم بين أفرادها، ولذلك أطلق على هذا الترابط مفردة مهمّة جدًّا وهي «صلة الرحم».

● خامسًا: الخيانة الزوجيّة

ساهمت وسائل التواصل في تسهيل الاختلاط الإلكترونيّ بين الجنسين، ممّا أدّى إلى تواصل المرأة المتزوّجة مع الرجل الأجنبيّ والرجل المتزوّج مع المرأة الأجنبيّة. ذلك التواصل الذي يبدأ بإعجابٍ أو تبادل أفكارٍ عامّة، ومِن ثمّ الانجرار نحو العلاقات المحرّمة شرعيًّا بشكلٍ تدريجيّ. فقد أظهرت دراسة جديدة لمؤسّسة مؤشّر الإنترنت العالمي في لندن أنّ الخيانة هي العنوان الصارخ للعلاقات التي تتمّ عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ المختلفة على الإنترنت. وتضرب المؤسّسة مثالاً على هذه الحالة بتطبيق «Tinder» على أجهزة الهواتف الذكيّة المُخصَّص لتسهيل لقاءات أشخاص يبحثون عن شركاء.

وحسب التقرير، فإنَّ ٣٠ في المئة مِن الباحثين عن علاقات على هذا التطبيق متزوّجون، بينما مِن بين كلّ عشرة أشخاص يرتادون هذا التطبيق، هناك أربعة مرتبطون أصلاً بعلاقات عاطفيّة مع آخرين[١].

بالإضافة إلى شعور المتزوّج أو المتزوّجة بالرضا والاكتفاء بإعجابات وإطراءات المعجبين والمعجبات، فيشعرون بعدم حاجتهم لشريكهم الواقعيّ، ممّا يزيد مِن فرص الانفصال. وفي هذا السياق، وبسبب خطورة هذه التصرّفات وما ينتج عنها، أجاب السيّد علي السيستانيّ حفظه اللّه

---

١ - هل ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي في زيادة الخيانة الزوجيّة؟ على الرابط:
https://www.bbc.com/arabic/interactivity/2015150511/05/

تعالى على سؤال وجّه إليه عن التواصل على الأنترنت بقوله: «لا يجوز للمرأة التواصل مع الرجل بالمراسلة الكتابيّة أو الصوتيّة فيما لا يجوز بالمشافهة بلا فرق، ولا ينبغي لها التصرّف على وجه يثير ريبة زوجها أو أبيها، بل قد يحرم ذلك في جملة مِن الموارد كما لو كان التصرّف من قِبَل الزوجة مريباً عقلاً بحيث يُعدّ منافياً لما يلزمها رعايته تجاه زوجها، أو كان التصرّف مِن البنت ممّا يوجب أذيّة الأب شفقةً عليها...»[1]

● سادسًا: تسطيح الوعي ونشر التفاهة

إنّ المواد التافهة التي يتمّ نشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ، وبفعل تكرار المشاهد والفيديوهات ذات المواضيع السطحيّة، تؤدّي إلى توليد اتّجاه نفسي عند المتلقّي يدفعه للاهتمام بما هو تافه، فوسائل التواصل الاجتماعيّ تسيطر عليه وتحضر فيه مجموعة مِن الأشخاص التافهين، الذين يتحدّثون في مختلف الموضوعات الحياتيّة، هذه المسألة التي جعلت بعض المفكّرين يطلقون على العصر الذي نعيشه «عصر التفاهة» أو «نظام التفاهة» كآلان دونو في كتابه «نظام التفاهة»، فثقافة التفاهة أصبحت حاضرة بقوّة في الحياة اليوميّة للإنسان المعاصر، فهي تستنزف وقته

1 - https://www.sistani.org/arabic/qa/0292/

وجهـده الفكري، فكثير مِن الناس يقضون أوقاتهم على وسـائل التواصل الاجتماعيّ في مناقشـة موضوعات ساذجة ويتجادلون حول أجمل حذاء، وأفضـل ماركة، والموضة، والطعـام والطبخ، وآخر مسلسـل، وآخر أغنية للمطرب الفلاني، وأفضل قصّة شـعر، وعيون فلانة، ورموش فلانة، وهذا الأثـاث وتلك اللوحـة... وغيرها مِن النقاشـات السـطحيّة والتافهة، بل أصبح هناك صنّاع لثقافة التفاهة تعود عليهم بمليارات الدولارات، وتشارك في نظـام التفاهة طبقات كثيرة كالرياضيين والمطربين والفنّانين والممثّلين وخبراء الطبخ والتجميل و...إلخ.

● سابعًا: تقديم مادّة غير أخلاقيّة

ولهـا نماذج كثيرة مِن أبرزها مادّة التعـرّي والإباحيّة، والتي هي مِن أكثر المواد خطورةً على المجتمع، خصوصًا على الشـباب. تلك المشاهد التي تتراكـم في اللّاوعي لدى المتابع، فتشـكّل تلوّثًا روحيًّـا تلقائيًّا لديه. هذا بالإضافـة إلى الآثار المترتّبة عليها مِن فتنة وشـهوة مِـن الممكن أنْ توقع الشاب في محرّمات أكبر كالاستمناء والزّنا و...إلخ.

هـذه الآثـار السـلبيّة التـي تـمّ عرضهـا، تشـكّل تهديـدًا حقيقيًّا على المجتمعات الإسلاميّة؛ وذلك بسـبب انتشار وسائل التواصل الاجتماعي وسـوء اسـتخدامها بشـكلٍ يوميّ لا بل لحظيّ، وهذا ما يؤدّي إلى اتّساع

تأثيراتها السلبيّة التي تعزل الأفراد عن قيمهم الدينيّة وتبعدهم تدريجيًّا عن شريعتهم، وبالتالي تسلك بهم منحدر الرذائل والمفاسد.

المبحث الرابع:
سلبيات الألعاب الإلكترونيّة

● أوّلاً: سلبيات الألعاب الإلكترونيّة على قيم الشباب

يعيش الشـاب المعـاصر في بيئة تكنولوجيّة تحتـوي على أدوات كثيرة، كالتلفزيـون والحاسـوب والهاتـف واللوح التفاعـليّ... إلـخ، وتُوظّف الشركات الاقتصاديّة الكبرى هذه الأدوات في مجموعة كبيرة مِن الألعاب التي تشـكّل عنصر جذب للشباب بهدف الربح مِن باب الاستثمار الماليّ في الترفيه.

وبغـضّ النظر عن النقاش الواسـع عن مدى وجـود إيجابيّات للألعاب الإلكترونيّـة في حياة الشـباب، إلّا أنّ النقطة التي نـودّ التركيز عليها، هي السلبيّات العديدة التي تترتّب على تفاعل الشباب مع الألعاب الإلكترونيّة، منها:

- أنّها تغذّي النزعة الفرديّة والعزلة عن الواقع الاجتماعي، حيث يقضي

الشاب ساعات في اللعب بمفرده؛

- أنّها تُنمّي روح اللامسؤوليّة الاجتماعيّة؛
- تضعف عمليّة التواصل المباشر مع الأهل، حيث يركّز الشاب وقته على اللعب غافلاً عن العلاقة الطيّبة بوالديه؛
- تتضمّن هذه الألعاب الكثير مِن المفاهيم العقائديّة المنحرفة التي تنكر الخالق وتروّج لأفكار شيطانيّة؛
- تُكسب عادات وقيمًا غريبة عن أخلاقنا الإسلاميّة، كمشاهد العنف، والسرقة، والتعدّي على أملاك الآخرين، وتحطيم الأشياء، والتعرّي، والإباحيّة[1]... حيث إنّه مع تكرار هذه المشاهد قد تصبح مألوفة في ذهن المراهق والشاب، وقد تزرع فيه ميولاً إلى السلوك العدوانيّ؛
- تُورّث الكسل والخمول وتحدّ مِن ممارسة النشاط البدنيّ[2]؛
- تؤدّي إلى تضييع الوقت والالتهاء عن الواجبات العلميّة والفروض الدينيّة.

● ثانيًا: نماذج عن الألعاب الإلكترونيّة الفاسدة

---

١ - انظر: القاسم، العلاقة بين ممارسة الألعاب الإلكترونيّة والسلوك العدوانيّ لدى طلاّب المرحلة الثانويّة بمدينة الرياض.

٢ - انظر: بشير، ألعاب الفيديو وأثرها في الحدّ من ممارسة النشاط البدنيّ الرياضيّ الجماعيّ الترفيهيّ عند المراهقين المتمدرسين ذكَور (١٢-١٥سنة).

نعرض بعض النماذج السلبيّة التي تتضمّنها بعض الألعاب مِن حيث المفاهيم العقائديّة المنحرفة والقيم الفاسدة:

أ. عقائد وثنيّة تجسّد الآلهة في صورة التلاعب بمصير البشر، وأنّه يمكن التغلّب عليهم، مثل لعبة: God of war.

ب. زعزعة الثقة بالخالق وقدرته على الخلق مثل لعبة: Spore.

ت. الترويج لنظريّة التطور وأنّ أصل الإنسان قرد، مثل لعبة: Darwin The Monkey.

ث. الترويج لنهاية العالم بخلاف ما تعتقد به الأديان السماويّة، مثل لعبة: Space War أو لعبة: Assassian.

ج. نشر الإسلاموفوبيا، مثل لعبة: Call of Duty أو لعبة: Splinter Cell.

ح. ترويج الأعمال غير الأخلاقيّة والانحلال والسرقة والتسلّط على الآخرين... مثل لعبة: GTA.

خ. الترويج لسيطرة الشيطان، مثل لعبة: Constantine.... إلخ[1].

١ - انظر: مركز الحرب الناعمة للدراسات، الحرب الناعمة دراسات وتقارير تحليليّة، ص (٤٣-٥٥).

الفصل الثالث:

سوء التربية والبيئة الفاسدة

المبحث الأوّل:
أساليب التربية السيّئة

● أوّلاً: دور التربية في بناء شخصية الإنسان

التربيّة في ضوء الرؤية الإسلاميّة عبارة عن بناء شخصيّة الإنسان بنحو تدريجيّ في جميع أبعادها بما يُحقِّق الهدف الذي خلقه اللّه تعالى لأجله في الحياة الدنيا، وهو معرفة الله تعالى وعبادته.

والمسؤول الأوّل عن تربية الإنسان هو الأب والأم، ولكنْ هناك مؤسّسات كثيرة في وقتنا الحاضرة تساهم وتشارك بطريقة مباشرة في العمليّة التربويّة، منها المدرسة، والجمعيّات الكشفيّة، والمساجد، والأحزاب، و...

ولا شكّ في أنّ التربية تؤثّر في الإنسان وتترك بصمتها على شخصيّته، حتّى لو كان بالغًا راشدًا؛ لأنّ الإنسان يتأثّر بعامل التربية، كما يتأثّر بعامل البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه، ويتأثّر بجماعة الأصدقاء... وهذا التأثير قد يكون إيجابيًّا، وقد يكون سلبيًّا.

فالإنسان يخرج مِن بطن أمّه صفحة بيضاء، بل هذا التعبير يفيد أنّ الطّفل حياديّ تجاه الخير والشرّ، في حين أنّنا نعتقد أنّ اللّه تعالى فطر الأطفال على التوحيد والخير، فطرة اللّه التي فطر الناس عليها، ولذا التعبير الأدّق

هو أنّه يخرج مِن بطن أمّه مجبولاً على معرفة اللّه تعالى والشعور بالارتباط به وتوحيده، فسوء شخصيّة الإنسان لم تُركّب فيه بأصل الخلقة كما تصوّر بعض الأديان، ذلك بأنّه يولد وقد ورث الخطيئة والشرّ، وبطبيعة الحال لم يخلق اللّه تعالى الإنسان شريرًا أو سيّئًا، بل تتكوّن شخصيّته نتيجة التربية وغيرها مِن العوامل.

يقول أبو حامد الغزاليّ عن الولد أنّه «أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كلّ نقش وصورة، وهو قابل لكلّ نقش ومائل إلى كلّ ما يُمال به إليه، فإنَّ عُوّد الخير وعُلّم نشأ عليه، وسعد في الدّنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه، وكلّ معلّم له ومؤدّب، وإنْ عُوّد الشرّ وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم به والوالي عليه»[1].

● ثانيًا: العوامل المساهمة في التربية السيّئة

فكثيراً ما تكون المجتمعات منحطّة أخلاقيًّا نتيجة التربية السيّئة والفاسدة، والتربية السيّئة هي أحد عوامل الانحطاط الأخلاقي في المجتمع، وهناك عوامل عدّة تساهم في كون التربية سيّئة، منها:

---

١ - الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٨، ص١٣٠.

١. الأميّة التربويّة

إنّ العمليّة التربويّة، وإنْ كانت فطريّة، بمعنى أنّ كلّ إنسان يمارس تربية أبنائه بشكل فطريّ، إلّا أنّ هذه التربية لا تعني بالضرورة أنّها سليمة وصحيحة وحسنة، فالتربية كأيّ نشاط بشري آخر، يحتاج الإنسان فيها إلى أنْ يكون محيطًا بالمعلومات التي تمكّنه مِن أنْ يقوم بوظيفته بشكل مناسب في الوصول إلى الهدف المطلوب، فقد يقوم الإنسان بمجموعة إجراءات يحسب أنّها تبني شخصيّة الولد مثلاً بشكل حسن، ولكنّه يكون مخطئًا في التقدير والحسابات، فيظن أنّه يحسن صنعًا، ولكنْ تكون النتيجة هي عكس ما يرغب في أنْ يكون عليه الولد نتيجة الجهل وضعف المعلومات التربويّة، وهذا ما يمكن أنْ نصطلح عليه «الأميّة التربويّة».

٢. الإهمال واللامبالاة

بعض الآباء يعتزلون عن ممارسة وظيفتهم التربويّة، حيث يتجاهلون الولد ولا يهتمّون بشؤونه ولا يشرفون على تصرّفاته ولا يوجّهون سلوكه، وينشغلون عن الاهتمام بالرعاية التربويّة له بأشياء أخرى عديدة في الحياة تشكّل مصدر اهتمام لهم، فينشأ بعيدًا عن أيّ عمليّة توجيه وإرشاد ورقابة، فيتصرّف كما يحلو له؛ لأنّه لا يرى أنّه ثمّة سلطة عليا تشرف عليه وتراقب تصرّفاته، فيصبح الولد غير مكترث بالقيم والآداب، وينجرف مع السلوكيّات غير الأخلاقيّة.

٣. التربية الفاسدة

بعض آخر مِن الآباء يتعمّد تربية أبنائه تربية فاسدة، فيشجّعهم مثلاً على الكذب؛ لأنّ الكذب ملح الرّجال ويوصل إلى تحقيق الأهداف، أو يشجّع بناته على السفور وارتداء الملابس القصيرة...إلخ، فبطبيعة الحال إنّ هذا اللون مِن التربية يساهم في الانحطاط الأخلاقي في المجتمع.

ومِن جملة أساليب التربية الفاسدة، هو الأسلوب التسلّطيّ؛ أي التحكّم بأفعال الولد وأحلامه ومواقفه عن طريق الضغط والإكراه بما ينسجم مع رغبات الآباء وأمزجتهم الخاصّة، بغضّ النظر عن حاجات الولد وإمكاناته ورغباته، فيجعل الولد يشعر دائمًا بأنّه مقموع، يعيش تحت نير الديكتاتوريّة، فيصل إلى مرحلة يرغب فيها مِن التحرّر مِن سلطة الأهل، ممّا قد يجعله يلجأ إلى التصرّف بشكل يكون فيه عنيدًا وعدوانيًّا، أو يلجأ إلى الهروب مِن المنزل، فيضطّر إلى السرقة أو تعاطي المخدّرات أو معاشرة الأشخاص المنحرفين.

٤. الإفراط في تحقيق الرغبات

كما أنّ هناك بعض الأهل يهملون التربية أو يتسلّطون على الولد، هناك آخرون يتساهلون مع الولد ويحقّقون له رغباته ويفرطون في حمايته ويحرصون على تأمين كلّ حاجاته وأن يحصل على ما يريد، فينشأ على

الأنانيّة والنرجسيّة وحبّ الذات ويشعر أنّ كلّ العالم متمحور حوله، وهذا ما يؤدّي به إلى العجب، والتكبّر، والغرور، بل والحسد، والبخل وغيرها مِن المفاسد الأخلاقيّة الكثيرة.

٥. التخبّط والاضطراب

يقوم هذا الأسلوب على تخبّط الأهل في العمليّة التربويّة وعدم وضوح الرؤية عندهم وعدم وجود أسلوب واحد في التربية، بمعنى أنّهم يربّون أولادهم في ضوء أمزجتهم وحسب الحالة النفسيّة التي يعيشونها، فتارة يمارسون القسوة والتسلّط، وأخرى التساهل والتسامح، وثالثة الإهمال، ورابعة...إلخ، فهم مضطربون لا يعتمدون منهجًا أو أسلوبًا واضحًا، و»يقّرر بعض التربويين أنَّ مِن أشدّ الأساليب خطورة على شخصيّة الطفل وعلى صحّته النفسيّة، التقلّب في معاملته بين اللّين والشدّة، فيثاب مرّة على العمل ويعاقب مرّة أخرى على العمل نفسه مِن دون مبرّرات واضحة، وتجاب مطالبه مرّة ويحرم منها مرّة أخرى مِن دون سبب معقول. وهذا التأرجح بين الثواب والعقاب والمدح والذمّ واللّين والقسوة إلى غير ذلك مِن أساليب التذبذب وعدم الاستقرار في المعاملة، يجعل الولد في حيرة مِن أمره ودائم القلق غير مستقرّ، ومِن ثَمَّ يترتّب على هذا الاتجاه شخصيّة متقلّبة متذبذبة ومزدوجة»[1].

---

١ - الحجري، هل نضرب أطفالنا لنعدل سلوكهم؟ ص٢٨.

● **ثالثًا: التنشئة الاجتماعيّة على القيم الإسلاميّة**

وهناك نقطة في غاية الأهميّة، وهي أنّ بعض المربّين يخلطون بين التربية المطلوبة في الإسلام وبين التنشئة الاجتماعيّة.

يُعرّف بعض المتخصّصين التنشئة الاجتماعيّة بأنّها: «العمليّة المقصودة أو غير المقصودة التي يصطنعها المجتمع لتنشئة الأجيال الجديدة فيه، بما يجعلهم على وعي بوظائفهم في المجتمع وبدور كلّ منهم فيه»[1].

فالتنشئة الاجتماعية تمنح المربيّ المعارف والصفات والمهارات التي تمكّنه من أنْ يكون عضوًا نافعًا لمجتمعه، ومتوافقًا معه، وقادرًا على التفاعل الإيجابي مع محيطه الاجتماعي، فإنْ كان هذا المجتمع إسلاميًّا، تكون التنشئة الاجتماعية منسجمة مع التربية الإسلاميّة، ولكنْ إذا كانت الأسرة المسلمة المتديّنة تعيش في مجتمع غير إسلاميّ، كالتي تعيش في الدول العلمانيّة أو الغربيّة، أو تعيش في مجتمع مسلم لا يلتزم بالقيم الإسلاميّة، فقد تتعارض التنشئة الاجتماعيّة مع التربية الإسلاميّة، فتكون تربية فاسدة لشخصيّة المتربيّ؛ لأنّه قد يتربّى على التفاعل الإيجابي مع قيم المجتمع وتقاليده غير المنسجمة مع المفاهيم الدينيّة والقيم الإسلاميّة.

---

١ - محمّد سيف الدين فهمي، محاضرات في أصول التربية، ص١٧.

● **رابعًا: دور المعلِّم في فساد الطلّاب الأخلاقيّ**

وثمّـة نقطة أخيرة جديـرة بالانتباه، وهي أنّ التربية الفاسـدة قد تأتي مِن بعض الأسـاتذة والمعلّمين، حيث إنّه ثمّـة وجهة نظر خاطئة عند بعضهم أنّ وظيفتهم هي إعطاء المعلومات وشرح المواد وتلقين الدّرس، ويغفلون عـن أنّ التلميـذ والطالب عن وعـي أو لا وعي يتأثّر بالأسـتاذ والمعلِّم، بأفكاره، وتصرّفاته، وردود أفعاله، وطريقة كلامه، ولباسـه، فكم سمعنا مِن تلميذ يكرّر ألفاظًا نابية بحقّ زملائه لأنّه سمعها مِن أستاذه، أو فتاةً تحاكي معلِّمتها في طريقة لباسها غير المحتشمة مثلاً.

وهناك كلمة قيّمة للسـيّد علي الخامنئيّ -وهو بالمناسبة له تجربة مديدة مـع التربية والتعليم- يرسـم فيهـا معالم وظيفة المعلّم، حيـث يقول: «إذا أخذنا التعليم بمعناه الواسع، فإنّه يشمل هذه الأمور الثلاثة:

١ - تعليـم العلـم، أي تدريس محتويـات الكتب والعلـوم التي ينبغي لأولادنا - رجال ونساء بلادِنا في المستقبل - أن يتعلّموها.

٢ - وهو أهمّ مِن الأوّل، هو تعليم التفكير. يجب أنْ يتعلّم أطفالنا كيف يُفكّـرون - الفكر الصحيـح والمنطقيّ - وينبغي أنْ تجـري هدايتهم نحو التفكّر الصحيح... الاستفادة مِن العلم إنّما تُصبح ممكنة بوساطة التفكير.

٣ - هو السـلوك والأخلاق؛ أي تعليم السـلوك والأخلاق... (و) تعليم الأخلاق والسلوك ليس مِن قبيل تعليم العلم، بحيث يقرأ الإنسان ويدرس

مِـن الكتـب وحسـب. درس الأخـلاق لا يمُكن نقلـه بوسـاطة الكتب، السـلوك مؤثّر أكثر مِن الكتاب والكلام؛ أي إنّكم في الصّف وبين التلاميذ تُدرّسـونهم بسـلوككم. بالطبع يجب القول والبيان بالكلام أيضاً، ويجب إسـداء النصيحة، لكنّ السلوك تأثيره أعمق وأشـمل. سلوك الإنسان يُبيّن صدق الكلام» .

المبحث الثاني:
البيئة الفاسدة والمنحرفة

● أوّلاً: تأثير المحيط الاجتماعي في شخصيّة الإنسان

يمكن تعريف البيئة الاجتماعيّة على أنّها المحيط الجغرافيّ-الاجتماعيّ الذي يعيش فيه الإنسان ويمارس نشاطاته في هذه الوحدة الاجتماعيّة مع مَنْ يحيطون به مِن أفراد ويتفاعل معهم.

ومِن المعروف أنّ لكلّ جماعة أو وحدة اجتماعيّة ثقافة أو حضارة تمّ بناؤها عبر التاريخ، تتميّز بها عن باقي المجتمعات. يمكن لهذه البيئة أنْ تقتصر على البيت أو العائلة، كما يمكن لها أنْ تتّسع لتشمل الجامعة أو مكان العمل أو حتّى القرية أو المدينة.

وبما أنّ بحثنا يدور حول الانحطاط الأخلاقيّ، لا بدّ أن نتعرّف على كيفيّة تأثير البيئة المنحرفة على بناء شخصيّة الإنسان وانحداره نحو الفساد.

ذكرنا في المبحث السابق أنّ الإنسان يولد كالصّفحة البيضاء، ونضيف أنّه لديه قدرة عجيبة على التقليد، والانفعال، والمحاكاة، والتخزين، كما جاء على لسان أمير المؤمنين (ع): «إنّما قلب الحَدَث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها مِن شيء قبلته»[1].

---

١ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٤٠.

فالمحيط الاجتماعيّ الذي ينشأ الإنسان في مجاله بجميع مؤسّساته -الأسرة، الحيّ، الجيران، المدرسة، الأصدقاء، الأندية الرياضيّة أو الثقافيّة أو الترفيهيّة- يلعب دورًا بارزًا في تحديد ملامح هويّة الإنسان الذهنيّة والنفسيّة، والقيميّة، والسلوكيّة، وغيرها. فالإنسان -عادة- لم يكتسب تصوّراته وعقائده واتجاهاته وقيمه وسلوكيّاته ومهاراته مِن تلقاء نفسه، بل بفعل تأثّره بالمحيط الخارجيّ، فتتشكّل لوحة شخصيّته بفعل الانفعال والتأثّر بالبيئة الاجتماعيّة، فحتّى الفطرة التوحيديّة الصافية التي أودعها اللّه تعالى في نفس الإنسان بأصل الخلقة، لا تصمد أمام تأثيرات البيئة الأسريّة والمجتمعيّة. وبهذا صرّح رسول اللّه (ص)، فقال: «كلّ مولود يولد على الفطرة، وإنّما أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه»[1].

فالإنسان الذي يولد على فطرة التوحيد، ينحرف عنها بفعل أسرته اليهوديّة أو النصرانيّة، أو حتّى مجتمعه العلمانيّ أو الملحد الذي يلعب دورًا رئيسًا بعد الأسرة في تكوين شخصيّة الإنسان وهويّته. فالبذرة الطيّبة؛ أي الفطرة، تفسد في الأراضي الفاسدة المالحة.

● **ثانيًا: تحذير أئمّة أهل البيت (ع) مِن التيّارات المنحرفة والبيئة الفاسدة**

ومِن هنا نلاحظ أنّ أهل البيت عليهم السلام حذّروا المجتمع

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١١٤.

الإيمـانيّ مِن بعض الفـرق المنحرفة التي كانت تعيش في أوسـاطهم، كالمرجئـة والغلاة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السـلام: «احذروا على شـبابكم الغـلاة لا يفسـدونهم»[١]، وعنـه (ع): «بـادروا أولادكم بالحديث قبل أنْ يسـبقكم إليهم المرجئة»[٢]. وهاتان الفرقتان مِن باب المصـداق والنموذج، وإلّا فهي تشـمل التحذير مِـن كلّ فرقة أو اتّجاه منحرف، وليـس ذلك إلّا لقوّة تأثير التيّـارات الاجتماعيّة المنحرفة في شـخصيّة هذا الإنسـان أو ذاك. واليوم تسـود في عالمنا المعاصر وفي بيئتنـا الاجتماعيّة جماعات فاسـدة وتيّـارات منحرفة دينيّـة وعلمانيّة وإلحاديّة وجندريّة ونسـويّة وغيرها، والتي تؤثّر بشكل أو بآخر في هذا الشاب أو ذاك.

وتجدر الإشارة إلى أنّ البيئة تؤثِّر بشكلٍ لا إراديّ على روحيّة الإنسان، تلك الروحيّة التي لا بدّ لها أنْ تتأثّر سلبًا في بيتٍ مأهولٍ بالمعاصي واللّهو المحرّم، كالغنـاء والرقـص وشرب الخمر والزنا وغيرها مِن الآفـات والرذائل، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السـلام: «لا تدخل الملائكـة بيتًا فيه: خمر أو دفّ أو طنبور أو نرد، ولا يستجاب دعاؤهم، وترفع عنهم البركة»[٣]. وهذا خير مؤشرّ

١ - الكليني، الكافي، ج٦، ص٤٧، ح٥.
٢ - الطوسي، الأمالي، ص٦٥٠.
٣ - الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٧، ص٣١٥.

على أنّ البيئة الأسريّة والاجتماعيّة حتّى الضيّقة، تؤدّي دورًا في التأثير السلبي على المناخ الروحي للإنسان حتّى لو لم يشعر بذلك. فابتعاد الملائكة عن الشخص وارتفاع البركة عنه، هو بالفعل أحد أسباب انحداره الروحيّ.

● ثالثًا: نتبع ما ألفينا عليه آباءنا

وممّا لا شكّ فيه أنّ بيئة الإنسان تؤثّر في نفسه وشخصيّته بفعل العادات والتقاليد ونمط التفكير المسيطر على تلك الجماعة، فهو وفي سياق تفاعله واحتكاكه مع أفراد تلك الجماعة، يتعامل بصيغهم وأنماط تفكيرهم المتعارف عليها بينهم. وقد أكّد القرآن الكريم على هذه الفكرة في مواضع عدّة، حيث أوضح بأنّ الإنسان الذي ينتمي إلى جماعة خاصّة، يتأثّر بأفكارها وعاداتها وتقاليدها بنحو يجعله منغمسًا فيها، ممّا قد يحجبه عن قبول الحقّ حتّى لو كان واضحًا نتيجة العصبيّة الاجتماعيّة، يقول تعالى: ﴿**إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[سورة البقرة: ١٧٠]، فلسان حالهم: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**﴾[سورة الزخرف: ٢٣] ﴿**بلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾[سورة الشعراء: ٧٤].

إلّا أنّ هذا التأثير لا يمكن أنْ يصل إلى محو الإرادة الشخصيّة التي زرعها اللّه تعالى في كلّ إنسان، ولا إلى طمس قدرته على تمييز الحقِّ من

الباطل والحَسَنِ مِن القبيح. هذه الإرادة وتلك القدرة تمكّنانه مِن التحرّر مِن براثن مجتمعه الفاسد، إلّا إذا لم يتفكّر ويستخدم القوّة الكامنة في نفسه ويحوّلها إلى فعل، فحتمًا ستتحوّل حالة الغفلة التي هو عليها إلى ملكة نفسانيّة لا تكاد تنفكّ عن نفسه وروحه، فيصبح تلقائيًّا واحدًا من أفراد مجتمعه الفاسد، الّذين قال فيهم اللّه جلّ اسمه: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[سورة البقرة:٧].

تكمن الخطورة في البيئة الفاسدة في مواجهتها ومجابهتها للهداية والالتزام الدينيّ، فمثلاً إذا كان الإنسان يعيش في تلك البيئة في حالة الغفلة التي تحدّثنا عنها مسبقًا، ثمّ بعد ذلك ولحكمةٍ إلهيّةٍ ما اختاره اللّه للهداية والتقرّب منه، ستجد كلّ مَنْ حوله يحاربونه ويستهزئون به ليحرفوه عن طريق الهداية؛ لأنّهم لا يتقبّلونه بينهم، أو لحسدٍ في أنفسهم.

هؤلاء الفسّاق الّذين يحيطون به مِن أسرة وأقارب وأصدقاء، سيمارسون غالبًا أنواعًا عديدة مِن الإيذاء النفسيّ، الذي يمكن أنْ يوصل الإنسان الذي حاول التحرّر مِن قيودهم الجاهليّة إلى التخلّي عن ذلك المسار الجديد الذي حاول رسمه لحياته، لكنْ مَنْ كان حظّه عظيمًا هو الإنسان ذو الإرادة القويّة والمعيّة الإلهيّة المقدّسة الذي ينجح في نهاية المطاف مِن كسر قيود سجنه الاجتماعيّ، صابرًا محتسبًا متأسّيًّا برسولنا العزيز محمّد (ص) الذي اتّهمه قومه بالجنون والكهانة والسحر والشعر و...،

فجاء الردّ الإلهيّ على جهّال قريش: ﴿**وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ**﴾[سورة التكوير: ٢٢] إنّما هو: ﴿**رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾[سورة التكوير: ١٩-٢٠-٢١].

● **رابعًا: تصدّي العلماء للتيّارات المنحرفة داخل البيئة الإسلاميّة**

بناءً على ما تقدّم، إذا رجعنا بالتاريخ قليلاً إلى الوراء، نلاحظ كيف أنّه في زمن قوّة حضور الاتّحاد السوفياتيّ على مستوى السياسات الدوليّة وفي منطقتنا، شاعت الفلسفة الماركسيّة والشيوعيّة واليساريّة، وقد أثّرت بشكل كبير في شبابنا المسلم، حيث انتمى الكثير منهم إلى الأحزاب التي تتبنّى هذه العقيدة الماديّة، وتمدّدت هذه العقيدة لتصبح مسيطرة على كثير مِن أبناء مجتمعنا إلى درجة أنّه غالب الشباب الّذين لا يفقهون شيئًا عن هذه المدرسة انخرطوا في الأحزاب الشيوعيّة بهدف التماشي مع مجتمعهم وأصدقائهم وأقاربهم ولكي لا يشعروا بالوحدة والغربة؛ لأنّ الإنسان يميل نفسيًّا إلى الانتماء إلى مجموعة يتشارك معها أفكاره ونشاطاته.

وقد اضطرّ هذا المشهد العديد مِن علمائنا إلى التصدّي لهذه الفلسفة الماديّة عبر الكتب والمحاضرات وغيرها، وقد دفعوا مقابل ذلك أثمانًا باهظة للحفاظ على الهويّة الإسلاميّة للمجتمع ودفاعًا عن العقيدة الإلهيّة، أمثال العلامة الطباطبائيّ، والشهيد مرتضى مطهري، والشهيد محمّد باقر

الصـدر، وغيرهم، وقد أثّر نشـاطهم الفكـريّ في مواجهة هـذه التيّارات المنحرفـة، وتركـت بصمتها على إعـادة الكثير مِن الشـباب إلى أحضان الإسلام المحمديّ الأصيل بسبب قوّة حضور منطق الفلسفة الإسلاميّة في الردّ على تفاهات هذه الفلسـفة. بل صرّح الشهيد الصّدر في مقدّمة كتابه «فلسـفتنا» أنّ المشكلة الأساس تكمن في طبيعة النظام الاجتماعيّ القادر على إدارة حياة الإنسان وقيادتها إلى كمالها وسعادتها، فالنظام الاجتماعيّ بسبب قوّة تأثيره على الأفراد عقائديًّا وقيميًّا وسلوكيًّا، اعتبره الشهيد الصدر هو التحدّي الأكبر أمام الفيلسوف والمفكِّر الإسلاميّ.

ولم تكـن التيّارات الماركسـيّة والشـيوعيّة هي المؤثِّر الوحيـد في البيئة الإسلاميّة، بل ثمّة تيّارات منافسة، نتيجة كون الصراع العالمي كان قائمًا بين قطبين، يمثّل أحدهما الاتحاد السوفياتي في فلسفته التي سبق أنْ أشرنا إليها، والقطب الآخر هو الولايات المتّحدة الأمريكيّة كقائدة للعالم الغربيّ، والتي تمثّل في المقابل الفكر الرأسماليّ والليبراليّ، والتي وجدت لها أيضًا أنصارًا كثراً في عالمنا الإسـلاميّ، الّذين تبنّوا النظريّة الرأسـماليّة والفكر الليبراليّ واتّبعوه كأسـلوب حياة ونمط عيش، وغرقـوا في بحر قيمه التي قامت على مبدأ الجشـع والطمع والربح الماديّ، فانجرف كثير مِن الشباب المسلم مع قيم الرأسـماليّة؛ إذ تأثّروا بالتيّارات الوطنيّة التي تنادي بالليبراليّة، خصوصًا الحاضرة بقوّة في الجامعات الواقعة تحت إدارة الغرب ومؤسّساته.

المبحث الثالث:
الاختلاط غير المنضبط

● أوّلاً: الاختلاط ونشاط المرأة الديني والاقتصادي

الاختلاط هو اجتماع الرجال والنّساء في مكان مشترك، كالعمل، أو الجامعة، أو البيت، أو السوق، أو غيرها من الأماكن.

لم ينهَ الإسلام عن الاختلاط بعنوانه الأوّلي بشكلٍ عام على نحو يحرم المرأة من ممارسة حقوقها التي أقرّتها لها الشريعة الإسلاميّة، كطلب العلم، أو العمل والنشاط الاقتصادي، أو ممارسة واجبها الاجتماعيّ، أو الحضور في ساحة العمل السياسيّ، أو الثقافيّ...، لكنَّ الإسلام عمل على تقييد هذا الاختلاط على نحو يمنح المرأة حقوقها كافّة، وفي الوقت نفسه يحصّنها ويحميها من الّذين في قلوبهم مرض، ليحافظ على عفّتها وحيائها، اللّتين هما صفتان أساسيّتان في المرأة في ضوء الرؤية الإسلاميّة كما ورد في الدعاء عن الإمام المهدي (عج): « وَتَفَضَّلْ عَلى... النِّساءِ بِالْحَياءِ وَالْعِفَّة»[1].

وفي هذا السياق نلاحظ أنَّ السيّد السيستاني حفظه الله، أفتى باستحباب اشتراك المرأة في جماعة المسلمين في المسجد، معتبراً أنّه قد جرت على

١ - الكفعمي، البلد الأمين والدرع الحصين، ص٣٥٠.

ذلك سيرة المُسلمات في عصر النّبي الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم. استنادًا إلى ما ورد في الصّحيح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام أنّه قال: «كُنَّ النّساء يُصلّين مع النّبي (صلّى الله عليه وآله) وكُنَّ يُؤمَرن أنْ لا يرفعن رؤوسهنّ قبل الرّجال لضيق الأُزُر»[١]. مشترطًا في ذلك أنْ يتهيّأ لها المكان الذي تكون فيه أبعد عن مرأى الرجال الأجانب، فإنْ تهيّأ لها مثل هذا المكان في المسجد، فلا تفضّل الصّلاة في البيت على الصّلاة في المسجد حينئذٍ[٢].

● ثانيًا: الاختلاط وضرورة الالتزام بالضوابط الشرعيّة

وإنْ كان الأصل في الرؤية الإسلاميّة للعلاقة بين النساء والرّجال الأجانب، هو اجتناب الاختلاط مهما أمكن، ولكنْ ممّا يؤسف له تحوّل الاختلاط إلى أصل حتّى مع عدم الحاجة إليه في بعض المجتمعات المفترض أنّها مؤمنة ومتديّنة، بل أصبح بعض الشباب تحت شعار الانفتاح والحريّة يحاول أنْ يُظهِر الاختلاط بصورة أنّه شيء عصري وحضاريّ، فإذا استطلعت رأيه مثلًا عن التفرقة بين الإناث والذكور في الفصول الدراسيّة في الثانويّات أو الجامعات، فيجيب بأنّ هذا سلوك

١ - الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٨، ص٣٤٤.

2 - https://www.sistani.org/arabic/qa/02126/

غير عـصريّ وغير حضاريّ، حيث وقع مثل هؤلاء الشـباب في فخّ القيم العلمانيّة والغربيّة الليبراليّة، التي تريد أنْ تعطي مسـاحة واسـعة مِن حريّة العلاقات بين الجنسين.

إنّ الضوابـط التـي فرضها الإسـلام عـلى الاختلاط لا تختـصّ بالمرأة فقط، وإنّما تشـمل الرّجل أيضًا وتعود عليه بفوائد وتحصينات؛ إذ إنّ هذه الضوابـط تمنعه مِن الوقوع في الفتنة والريبـة، وتحصّنه مِن العناصر التي تحـرّك غريزته وشـهوته، وبالتالي تحدُّ مِن الوقـوع في الحرام من قِبَل كلا الطرفين.

يقـول العلاّمـة الطباطبائيّ قدّس سره: «إنّ الإسـلام سـدَّ بـاب الزنا... بإيجاب الحجاب والمنع مِن اختلاط الرجال بالنسـاء والنسـاء بالرجال، ولـولا ذلـك لم ينجح النهي عن الزنـا في الحجز بين الإنسـان وبين هذا الفعال الشنيع»[1].

فالالتزام بالضوابط الشرعيّة يُفعِّل صفتي الحياء والعفّة اللتين يشـترك بهما كلٌّ مِن الرجل والمرأة على حدٍّ سواء. إنّما تمتاز المرأة عن الرجل في ممارسة وإظهار هاتين الصفتين -العفّة والحياء- وفي درجتهما، لا في أصلهما.

فبحسب شريعتنا الإلهيّة المقدّسة، يجب على المرأة إبراز العفّة والحياء

١ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، ص٣١٥.

مـن خلال المحافظـة على حجابها الشرعيّ في المقـام الأوّل، ولا نقصد بالحجاب خصوص السـتر اللّباسيّ، بل الحجـاب بمفهومه العام، الذي يشـمل اجتناب التبرّج والتزيّن وتليين الصوت والمفاكهة والممازحة أمام الأجنبيّ وأسلوب المشيّ.

أمّـا فيما يخـصّ الرجل، فواجبه يقوم على غـضّ البصر وعدم التحديق في الأجنبيّة على نحوٍ يوقعه في النظر المحرّم أو غيره مِن المحرّمات التي تترتّب على النّظر وإثارة الغرائز.

وقد أجمـع الفقهاء المعاصرون على جواز اختلاط النّسـاء بالرجال في أماكن العمل والدراسة وغيرها، لكنْ ضمن الضوابط الشرعيّة التي تضمن الأمـن مِن الوقوع في المحرّمـات. فالاختلاط يصبح مُحرَّمًا إذا كان يؤدِّي إلى الإخلال بشيءٍ ممّا هو وظيفة المرأة تجاه الرَّجل الأجنبيّ أو العكس، سواء مِن جهة رعاية السّتر والعفاف أو غير ذلك[1].

ولذا، يجب على المرأة المسلمة والمؤمنة الحذر مِن مجموعة تصرّفات أصبحـت منتشرة في بعـض المجتمعات النسـائيّة، منهـا: الاختلاط في مجالـس الأعراس، والذي قد تكـون الإثارة فيه بين الرجال والنسـاء أمرًا طبيعيًّا، أو المسابح المختلطة، أو النوادي الرياضيّة المختلطة.

---

1 - https://www.sistani.org/arabic/qa/0295/

● ثالثًا: الضوابط الشرعيّة والأخلاقيّة للاختلاط

ومِن المهمّ أنْ نذكر بعض الضوابط الشرعيّة للاختلاط:

١. الابتعاد عن التبرّج والزينة:

إنّ التبرّج والزينة يعدّان من الأمور المحرّمة على المرأة إظهارها أمام الأجنبيّ. قال اللّه تعالى: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ**﴾[سورة النور: ٣١].

٢. ترك الرائحة والطيب:

يمكن إدراج الرائحة والطيب تحت عنوان التبرّج بمعنى إظهار المحاسن، إلاّ أنّهما يتميّزان بخصوص حاسّة الشمّ دون حاسّة البصر، فهي وبحكم أنّها مندرجة تحت عنوان التبرّج، يحرم بالتالي إبرازها لدى الأجنبيّ إذا كان بقصد إثارة غرائزه أو علمت بترتّب ذلك على تعطّرها.

عن جابر بن يزيد قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام يقول: «ولا يجوز لها أنْ تتطيّب إذا خرجت مِن بيتها»[1].

---

١ - الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٠، ص٧٧٠.

٣. عدم اللّمس والمصافحة:

مِن الواضح أنّه محرّمٌ على الرجل المسلم مصافحة المرأة الأجنبيّة، كما هو محرّمٌ على المرأة المسلمة مصافحة الأجنبيّ، فقد روي عن النبيّ الأكرم (ص) في حديث المناهي: «ومَنْ صافح امرأة تحرم عليه، فقد باء بسخطٍ من اللّه عزّ وجلّ»[1].

٤. عدم الخضوع بالقول:

بمعنى طريقة الكلام المبتذلة، والتي يتضمّنها شيء مِن الميوعة، والخوض في أحاديث غير ملائمة، وذلك لقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَض وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾[سورة الأحزاب: ٣٢].

٥. غضّ البصر:

وغضّ البصر يعني عدم التحديق والإمعان في الشيء، فمِن واجب المؤمن والمؤمنة غضّ أبصارهم عن بعضهم البعض، وذلك لقول اللّه تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾[سورة النور: ٣٠-٣١].

---

١ - العروة الوثقى اليزدي، كتاب النكاح، المسألة٤٧.

٦. الابتعاد عن المزاح والضحك:

يجب على الرجل والمرأة الابتعاد عن المزاح والضحك وتبادل النكات، حتّى ولو على الجوّال، أو تبادل الأحاديث في مواضيع عامّة، وإنْ لم يحتوِ على ألفاظ محرّمة، بنحو قد يؤدّي بالانجرار شيئًا فشيئًا إلى الوقوع في الحرام.

ولذا، عليها الاقتصار في الحديث -إنْ حصل- على الأمور الجديّة والمهمّة والأحاديث ذات الطابع المناسب والملائم، وذلك مِن أجل الأمن مِن الوقوع في المحرّمات.

وهناك مصطلح حديث ينبغي الالتفات إليه، وهو: «الاختلاط الإلكتروني»؛ أي المحادثة التي تتمّ بين المرأة والرجل الأجنبيّين على وسائل التواصل الاجتماعي، حيث إنّه كثيراً ما قد يؤدّي إلى الخروج عن حدود المتانة واللياقة التي يجب مراعاتها في الكلام بين الأجنبيّة والأجنبيّ، ويؤدّي إلى إثارة غرائز الطَّرفين، ويستتبع ما بعدها مِن المُحرَّمات ممّا لم يكن يتوقّعها الطرفان منذ البداية، وذلك ممّا يقف عليه الواقف على العلاقات الاجتماعيّة مِن هذا القبيل[1].

٧. اجتناب الاختلاط في الأسواق بالرّجال والاحتكاك بهم عبر المشي في جانب الحائط والطريق واجتناب وسطها. فعن الإمام الصادق

1 - https://www.sistani.org/arabic/qa/0410/

عليه السلام أنّه قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أهل العراق، نُبِّئت أنّ نساءكم يدافعن الرجال في الطريق، أما تستحون؟!»[١].

● رابعًا: أهداف تقييد الاختلاط

وتجدر الإشارة إلى أنّ كلّ تلك الضوابط قد وُضِعَت من أجل تحقيق هدف سامٍ، وهو الحفاظ في المقام الأوّل على روحيّة الشباب والفتيات الإيمانيّة، وثانيًا مِن أجل تحصين المجتمع مِن الزنا وغيره مِن الرذائل الأخلاقيّة، ذلك بالإضافة إلى خصوصيّة المرأة التي أولاها الإسلام مقامًا مرموقًا وأوكل إليها مسؤوليّة بناء المجتمع الإيمانيّ والحفاظ عليه.

تلك الدرجة العليا التي منحها الإسلام للمرأة، سعى الغرب منذ عصور وبشتّى الطرق إلى تحطيمها مِن خلال إبراز المرأة الغربيّة المتحرّرة مِن كلّ القيود وتقديمها على أنّها صورة نموذجيّة عن المرأة ذات المكانة الرفيعة في مجتمعها. هذا المارد الغربيّ -للأسف- تمكّن مِن التلاعب بعقول النساء المسلمات، حتّى وصلنا إلى ما نحن عليه مِن سفور واختلاط غير مشروع وتبرّج. تمكّن هذا الغرب -الذي أفرغ المرأة الأجنبيّة مِن جوهرها الإنسانيّ وجعل منها مجرّد وسيلة لإشباع غرائز الرجال الشهوانيّة والحيوانيّة التي

١ - الكليني، الكافي، ج٥، ص٢١٤.

لا يحدّها حـدّ، بالإضافة إلى اسـتغلالها لأجل مصالحـه الاقتصاديّة؛ إذ اسـتخدمها كسلعة دعائيّة للترويج لمنتجاته- مِن السيطرة على عقول بنات المسـلمين -إلّا من رحم ربيّ- وإدراجهنّ تحت مظلّة الانحلال التي تُلقي بظلالها على العالم الغربيّ بغالبه.

● خامسًا: الخلوة بين الرجل والمرأة

وفي النهاية نشير إلى أنّ ثمّة نوعًا آخر مِن الاختلاط قد حرّمه اللّه تعالى، وهو الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبيين في مكان واحد، بحيث لا يدخل عليهـما ثالث أو لا يتمكّن أحد مِن الوصول إلى مكانهما. ومِن هنا يمكننا اسـتنباط واحد مِن أسـباب تحريم الخلـوة، وهو الاحتماليّـة العالية جدًّا للوقوع في الحرام، حتّى لو اقتصر الحرام على النظرة المحرّمة، فلا بدّ مِن تركه. وفي هذا السـياق ورد عن رسول اللّه (ص): «لا يخلونّ رجل بامرأة، فما مِن رجل خلا بامرأة إلّا كان الشيطان ثالثهما»[1].

نعم، قد تضطّر المرأة للخلوة بالأجنبيّ، كركوب سـيارات الأجرة حيث تكون هي والسّـائق لا ثالث لهما، فإنّه يجوز لها ذلك ما دامت تأمن على نفسـها مِن الوقوع في الحـرام إذا ركبت معه وحدها. لكـن يفضّل للمرأة

١ - البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٢، ص٣٠٩

المؤمنـة مع الأمن مِن الحرام حال الخلوة التي تضطر إليها، أنْ تلتفت إلى الاجتناب عن بعض التصرّفات:

- أنْ لا تجلس في المقعد الأمامي بجانب السـائق لغرض توصيلها إلى مكان معينّ.
- أنْ لا تتعلّـم قيادة السَّـيارة عنـد الرَّجل الأجنبيّ بحيـث يذهبان معًا منفردين في الأماكن الصّالحة للتّدريب والتّعليم.
- أنْ لا تتواجـد بمفردهـا في البيت مـع أجنبيّ مثـل أي صاحب مهنة لتصليح شيء في المنزل.

الفصل الرابع:

غياب القدوة الحسنة وفريضة الأمر والنهي

المبحث الأوّل:
القدوة السيّئة وغياب القدوة الحسنة

● أوّلاً: ما هي القدوة؟

عرّف الراغب الأصفهانيّ القدوة على أنّها: «الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره، إنْ حسنًا وإنْ قبيحًا، وإنْ سارًّا وإنْ ضارًّا»[1].

وانطلاقًا من هذا التعريف، يمكن القول إنّ القدوة هي الشخصيّة التي يتمّ التأسّي بها واتّباعها وتقليد سلوكيّاتها وتصرّفاتها، فإنْ كانت سلوكيّاتها إيجابيّة كانت قدوة إيجابيّة، وإلّا فالعكس. بل يمكن تعميم القدوة إلى ما يشمل الجماعة، فقط تكون قدوة الإنسان جماعةً معيّنة وليس شخصًا بعينه، كما قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾[سورة الزخرف: ٢٣]. فقد أوضحت هذه الآية أنَّ الاقتداء والاتّباع قد يكون لجماعة.

١. دور القدوة في تربية الإنسان

تُعتَبَرَ فلسفة الاقتداء والتأسّي من المناهج الأساسيّة في الإسلام في تربية

---

١ - الراغب الأصفهاني، مفردات في غريب القرآن، ص٧٦.

الإنسان وصناعة هويّته، وننطلق في بحثنا عنها بشيءٍ من التفصيل.

قال اللّه تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[سورة الذاريات: ٥٦].

مِن الواضح أنّ الغرض الأساس مِن الخلق هو عبادة الله تعالى، بمعنى معرفته والخضوع له، تلك العبادة التي تعود بالفائدة على العابد حصرًا؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى غنيّ حميد، لا تنفعه طاعة مَنْ أطاعه ولا تضرّه معصية مَنْ عصاه. لكنَّ اللّه تعالى وبحكم رحمته التي كتبها على نفسه، لم يترك الإنسان ليضيع في ظلمات العالَم ويتيه في غياهب الجبّ، إنّما أفاض عليه نوعين مِن الهداية:

الأولى: الهداية التكوينيّة، وهي عبارة عمّا أودعه اللّه في أصل تكوين الإنسان مِن فطرة وعقل، قادرين على مساعدته للوصول إلى الهدف الذي خُلِق لأجله، وهو معرفة اللّه تعالى وعبادته.

الثانية: الهداية التشريعيّة، حيث لم يكتفِ الخالق الرحمن الرحيم بالنوع الأوّل مِن الهداية، إنّما أرسل إلى البشر الأنبياء، والرسل، والأولياء، وأنزل عليهم الكتب السماويّة. هذا الفيض الذي لم ينقطع على مدى عمر البشريّة الممتدّة مِن آدم (ع) إلى المهديّ (عج)؛ لأنّه لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها.

لجأ الأنبياء في هداية قومهم إلى إبراز شخصيّاتهم كقدوة حسنة يُحتذى

بهـا، وذلك يعود إلى طبيعة البشر التي تميل نحو ما هو محسـوس وواقع في حدود عالمهم الماديّ، فإنّ الإنسـان يتأثّر بما يرى ويسمع ويلمس... إلخ أكثر مِن تأثّره بالأمور الغيبيّة والقضايا المجرّدة.

٢. حاجة الإنسان إلى الحسّ المربي

وقد قدّم الشهيد الصدر تصويرًا غاية في الأهميّة لهذا الموضوع، حيث اعتبر أنّ الله تعالى قد خلق الإنسـان كائنًا حسـيًّا أكثر منه عقليًّا، بمعنى أنّـه يتفاعل مع الأمور المحسوسـة أكـثر مِن تفاعله مـع القضايا العقليّة المجـردة، فقوّة تأثير الحسّ في حياة الإنسـان أشـدّ مِـن تأثير المفاهيم العقلية في إطارها النظريّ، فالإنسان مثلاً لا ينجذب إلى المفهوم المجرّد مـا لا يتمثّل أمامه في الحسّ، فإذا قرأ عن قيمة الشـجاعة أو الكرم، فإنّه لا يتفاعل معه بالدرجة ذاتها مع الشّـخص الذي تتجسّـد فيه حسيًّا تلك القيمة، فهو ينجذب إلى الحسّ ويتفاعل معه شعوريًّا وعاطفيًّا ويتأثّر به، ومِن هنا ركّز النبي وأئمّة أهل البيت عليهم السلام على الدعوة بالسلوك، فعن الإمام الصادق عليه السّلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكـم الـورع والاجتهاد والصلاة والخـير، فإنّ ذلك داعيـة»[1]. فلنتأمل

١ - الكليني، الكافي، ج٢، ص٧٨، ح١٤.

معًا في كلمة» ليروا»، والتي تدلّ على ضرورة المشاهدة الحسيّة للعمل الصالح، وبالتالي يكون ذلك: «داعية» إلى الآخرين لمحاكاة العمل الصالح.

يقول الشهيد الصدر: «الإنسان بحسب طبيعة جهازه المعرفيّ وتكوينه النظريّ، خُلِق حسيًّا أكثر منه عقليًّا، خُلِق متفاعلاً مع هذا المستوى مِن الانخفاض مِن المعرفة، أكثر ممّا هو متفاعل مع المستوى النظريّ المجرّد مِن المعرفة، وهذا يعني أنّ الحسّ أقدر على تربية الإنسان مِن النظر العقليّ المُجرَّد، ويحتلّ مِن جوانب وجود الإنسان وشخصيّته وأبعاد مشاعره وعواطفه وانفعالاته، أكثر ممّا يحتلّ العقل -أي- المفهوم النظري المجرّد»[1].

وبناءً عليه، لا بدّ للإنسان مِن حسٍّ مربٍّ تتجسّد فيه أهداف السماء والقيم والمثل العليا، وفي عقيدتنا يتمثّل هذا الحسّ المربيّ في رسول اللّه وأئمّة أهل البيت صلوات اللّه عليهم أجمعين.

وكما نلاحظ في سياق الآيات القرآنيّة، كيف يأمر اللّه عباده الّذين يريدون الوصول إلى الهدف الأسمى، ويتوقون إلى الفوز بمقام القرب منه عزّ وجلّ، بالاقتداء بالّذين سبقوهم مِن الأنبياء والرسل والأولياء: ﴿**أُولَٰئِكَ**

١ - محمّد باقر الصدر، المرسل- الرسول- الرسالة، ص٢٢١-٢٢٢.

﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[سورة الأنعام: ٩٠].

ولكنَّ هذه المعادلة سيف ذو حدّين، فإنّ الحسّ المربيّ قد يكون إنسانًا فاسدًا منحرفًا عن الحقّ والقيم والمثل العليا، فيتأثّر به مَنْ يراه، ويتفاعل معه، ويحاكي أسلوب حياته.

ولا شكّ أنَّ أوامر اللّه ونواهيه تحاكي الطبيعة البشريّة التي خُلِقَ الإنسان عليها، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[سورة الملك: ١٤]، فنلاحظ -مثلاً- كيف أنّ الطفل، واستجابةً لنداء فطرته، يبحث عن قدوة يراقب تصرّفاتها ويقلّدها، تتمثّل هذه القدوة أوّلاً في أوّل ما تقع عليه حواسّه، وهما: الأمّ والأبّ في مرحلة الطفولة.

● ثالثًا: تأثير القدوة السيّئة على القيم الأخلاقيّة

لكنْ لا بدّ لهذه القدوة أنْ تتغيّر صورتها مع تقدّم الإنسان في العمر، فيبدأ في البحث عن الشخصيّة القدوة التي تحاكي أفكاره وأهدافه وأيديولوجيّته، وتتناغم مع طموحاته وآماله.

وفي رحلة بحثه هذه يقوم الإنسان برسم صورة مثاليّة -مِن وجهة نظره- عن الشخصيّة التي تستحق برأيه أنْ يحتذي بها، وهنا تقع المعضلة الكبرى، التي يعاني منها الأشخاص الإلهيّون أو الّذين يميلون إلى العقيدة الإسلاميّة بكلّ جوانبها وأفكارها كما سيأتي. لكنْ بالنسبة إلى الأفراد ذوي

الأفكار والأهداف الماديّة والدنيويّة التافهة، فإنّ العالم مليء بالأشخاص الّذين بإمكانهم أنْ يشكّلوا قدوةً لهؤلاء حسب رغباتهم، مثل: الفنّانين، والرياضيين، والممثّلين، والشخصيّات السياسيّة، والعسكريّة ... وغيرهم.

هؤلاء القدوات الّذين سيصطحب الإنسان معه بعد موته ما ورثه عنهم مِن أفكار وأهداف وقيم وتصرّفات، واتّبعهم فيها وقلّدهم وحاكاهم، بل ويعينهم على فسادهم وانحرافهم بالترويج لهم ونشر أسلوب حياتهم. وهنا ثمّة وزر يحمله القدوة نفسه، وثمّة وزر آخر يحمله المُقتدي، فقد ورد في بعض الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ سنّ سُنَّةً سَيِّئَةً فعُمِل بها بعده كان عليه وزره مثل أوزارهم مِن غير أنْ ينقص مِن أوزارهم شيئًا»[1].

والنقطة المهمّة في هذا السّياق أنّ المُقتدي للشخص الفاسد سيندم في لحظة لن ينفعه فيه النّدم، يقول تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾[سورة البقرة: ١٦٦-١٦٧]، ولا ينفع الإنسان يوم القيامة أن يُبرِّر موقفه باتّباع القدوة السيّئة، ويكون لسان حاله

١ - الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص١٣٧١.

يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾[سورة الأحزاب:٦٧]. فهؤلاء القدوات هم أئمّة يدعون إلى النار.

ومِن شديد الأسف أنَّ القدوة السيّئة تمتلك عناصر جذب عديدة تدغدغ مشاعر الشباب وتجذبهم إليه، منها: الشّهرة والنجوميّة، ولذلك نلاحظ مثلاً أنّ الشركات التجاريّة تروّج لسلعها وبضائعها عبر النجوم والمشاهير، لمعرفة خبراء الإعلان أنَّ سيكولوجيا الإنسان تميل إلى مَنْ يكون تحت الأضواء والنجوميّة.

لكنّ التأثير الأشدّ خطورةً، هو تأثير الشخصيّات العامّة خصوصًا، والسياسيّة عمومًا، التي تنتمي إلى محورٍ يعادي الإسلام كالمحور الشيوعيّ على سبيل المثال. هذه الشخصيّات الشيوعيّة كتشي غيفارا وفيدال كاسترو، قد يلقون رواجًا واحترامًا مِن قبل الشباب المسلم، وذلك بسبب وقوفهم إلى جانب القضايا التي تمسّ شبابنا المسلم وتدغدغ مشاعرهم كقضيّة فلسطين المحتلّة. يتمّ التركيز على هذا الجانب مِن شخصيّة القائد الشيوعيّ، فيغفل شبابنا عن عقيدتهم الفلسفيّة المعادية للإسلام بل المعادية لكلّ الديانات لأنّها فلسفة ماديّة لا تعتقد ولا تعترف بما وراء الطبيعة، وبالتالي لا تعترف بواجب الوجود، وهو الله في الفلسفة الإلهيّة الإسلاميّة. إلّا أنّ وقوفهم في صفّ هذه القضايا لا ينبعث عن دافعٍ إلهيٍّ، بل هي مجرّد تقاطع مصالح دنيويّة لا تبرّر احترامهم فضلاً عن

الاقتداء بهم.

ومنهـا: الثروة الماليّة والممتلكات الكثيرة، حيث إنّ الإنسـان يميل إلى الغنـيّ صاحب الثروة، لكونـه مُحِبًّا للمال، كما ذكر اللـه تعالى في آيات عدّة، منهـا قوله تعالى: ﴿**وتحبّـون المال حبًّا جمًّا**﴾[سـورة الفجر: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿**وإنّه لحبّ الخير لشديد**﴾[سـورة العاديات: ٨] حيث فُسِّر «الخير» هنا بـ«المال».

● رابعًا: حذر المتديّن من القدوة الملتبسة

وبالعودة إلى الأشـخاص ذوي الأفكار والأهداف الإلهيّة والأيديولوجيا الإسـلاميّة، هـؤلاء يعانـون في رحلـة البحث عـن قدوة في عـالمٍ مليءٍ بالسـطحيّة والفسـاد والتفاهة، كما تقدّم وأشرنا في مبحث سـابق. ولنلقِ نظـرةً عن تلك العوائق والحواجز التي تحول بين هؤلاء الأشـخاص وبين قدوتهم التي يبحثون عنها:

أوّلًا: صعوبـة إيجاد تلك الشـخصيّة القدوة المعـاصرة: وهي احتماليّة قائمة في عالمنا المعاصر، حيث نفتقد إلى تلك الشخصيّة التي تشبه النبيّ محمّـدًا (ص) الـذي أمرنا اللّه أنْ نقتدي به، حيث قـال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُـولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[سـورة الأحزاب: ٢١]. هذه الصعوبة في إيجاد القدوة توصل

صاحبها إلى أحد خيارين:

إمّا إلى الاضطراب الدائم، والشعور بعدم الانتماء، الذي سيرافقه في كلّ محطّات حياته.

وإمّا إلى الخيار الآخر، وهو الأكثر خطورة، حيث إنّه عندما لا يعثر على القدوة التي تمثّل ما يعتقد به من مفاهيم وقيم، يقوم بتبديل القيم والمفاهيم الإيمانيّة التي لا تجد مُمثِّلاً واقعيًّا لها؛ لأنّه يراها غير واقعيّة مع فقدان مَنْ يمثّلها ويجسّدها في أرض الواقع، فيحلّ محلّها مفاهيم أخرى تمتلك فرصة أكبر لإيجاد الممثّل الواقعي لها.

ثانيًا: القدوة المُلتبِسة: تلك الشخصيّة التي تمُثِّل بشعاراتها وكلماتها الأيديولوجيا الإسلاميّة التي يؤمن بها الفرد، إنّما أفعالها وتصرّفاتها لا تمتُّ لهذه الكلمات وتلك الشعارات بصلة، فيكونون ممّن استنكر عليهم الله تعالى سلوكهم: ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[سورة الصف: ٢]، تلك الشخصيّة هي الأخرى لا بدّ أنْ تسبّب لمتّبعيها الاضطراب والقلق، حيث يكون المتَّبِع في حيرةٍ من أمره بين شعارات الشخصيّة التي تمثّل قدوةً له، وبين تصرّفاتها المُخالِفة لتلك الشعارات التي تدّعي النضال من أجلها، فيعيش تناقضًا في شخصيّته يؤدّي به إمّا إلى التشكيك بالدّين رأسًا وإمّا أنّه سينحرف باتّباع القدوة على ما هي عليه من الباطل.

في هذا السياق يقول الإمام الخمينيّ (قده) عندما لا يكون توجّه العلماء

إلى اللّـه تعـالى، وعندمـا يهتمّـون ببهارج الدنيـا، وعندما يكـون همّهم المصالح الشخصيّة كما يفعل الآخرون، فإنّ الأمّة إذا رأتهم متنازعين على الدنيـا ومتخاصمين مِن أجـل أهوائهم باتّخاذهم الدّين متجرًا، فستسـيئ الظنّ بهم وتنحرف[١].

١ - الخميني، الجهاد الأكبر، ص٢٩.

المبحث الثاني:
غياب فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

● **أوّلاً: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن والسّنة**

تُعدُّ فريضة الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر مِن أسمى الفرائض وأهمّها في الشريعة الإسلاميّة، وهي عبارة عن أمر المكلّفين بإتيان الواجبات ونهيهم عن فعل المحرّمات. وقد ثبتت أهميّتها مِن خلال القرآن الكريم في آيات عدّة، منها قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.... * كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[سورة آل عمران: ١٠٤-١١٠].

وقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[سورة التوبة: ٧١].

وكذلك الأحاديث المرويّة عن رسول اللّه (ص) وأهل بيته عليهم السلام، فعن الرسول الأكرم (ص): «مَنْ أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة اللّه في أرضه وخليفة رسول اللّه وخليفة كتابه»[1].

---

١ - العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٠.

وعن أمير المؤمنين (ع): «وما أعمال البرّ كلّها والجهاد في سبيل اللّه عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّا كنفثة في بحر لجيّ»[1].

هـذه الآيات والأحاديث وغيرها الكثير تبرز لنا أهميّة هذه الفريضة، فهي ركنٌ أساسيّ في بناء المجتمع الإيمانيّ الصالح.

● ثانيًا: الأمر والنهي وشعور العاصي بالرقابة الاجتماعيّة

إنّ قيام المسلمين بفريضة الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر وتنشيطها في المجتمع، يمهِّد لهدم الأرضيّة الخصبة للإتيان بالمعاصي، فعند عدم وجود بيئة حاضنة للفساد مِن جهة، وشعور الفرد برقابة المجتمع على سلوكه، فلا بدّ له أنْ يخشى أو يخجل مِن الإتيان بالمعاصي، وتدريجيًّا تعتاد نفسه على عدم الإتيان بها.

وهذه النتيجة المترتّبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مِن ناحية انعكاساتها النفسيّة والاجتماعيّة على الأفراد، أمر عقلائي يمكن أنْ يستكشفه حتّى الباحث غير المسلم إذا تأمّل في طبيعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجربة المسلمين التاريخيّة في ممارستها، ونذكر نموذجًا مِن كلام المؤرّخ البريطاني المعاصر مايكل

---

١ - العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٨٩.

كوك، حيث يقول: «... إذ لا يجوز للمرء أنْ يقف ويشاهد بلا حراك امرأة -ولو غريبة- تُغتصب في مكان عام[١]. يجب أنْ يفعل شيئًا، إلاّ إذا كانت له أعذار مقبولة لعدم التدخّل. وبعبارة أخرى، لدينا فكرة واضحة عن واجب لا يفرض علينا التصرّف بنحو لائق إزّاء الغير فقط، بل كذلك منع الآخرين مِن فعل ما فيه تعدٍّ واضح على الناس. مع ذلك ليس لدينا في حياتنا اليوميّة مصطلح يشرح هذا الواجب، كما ليست لدينا نظريّة عامّة حول الأوضاع التي ينطبق عليها والإرغامات التي تسقطه... يُقدِّم الإسلام، في المقابل، اسمًا ونظريّة لواجب أخلاقي مِن هذا النوع واسع المجال لا يخلو المصطلح «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» كالترجمة الإنكليزيّة (Commanding Right and Forbidding Wrong)...»[٢].

فالفاسد المعاند لن يتمكّن مِن نشر فساده في مجتمع تسود فيه القيم وتُمارَس فيه فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يصبح خياره الوحيد هو ممارسة القبائح في السرّ والخفاء مرتَدِعًا عن ممارستها في

١ - يقصد حادثة اغتصاب معيّنة وقعت في محطة قطار في شيكاغو في أمريكا، ونشرت في تقريرين: تقرير صحيفة نيويورك تايمز، ٢٣-٩-١٩٨٨، ص٣٣. وتقرير صحيفة شيكاغو تريبيون، ٢٥-٩-١٩٨٨.

٢ - مايكل كوك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، ص٢٥-٢٦.

العلن، وبالتالي تأثيره السلبيّ على المجتمع يكاد يكون معدومًا. عن رسول اللّه (ص) في هذا السياق: «إنّ المعصية إذا عُمِلَ بها في السرّ لم تضرّ إلّا عاملها، وإذا عُمِلَ بها علانية ولم يغيّر عليه، أضرّت بالعامّة»[1].

● ثالثًا: الآثار السلبيّة لترك فريضة الأمر والنهي

ولترك فريضة الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر آثارٌ جمّة، منها:

أوّلًا: تهيئة بيئة حاضنة للفساد، ممّا يؤدّي إلى انتشاره على أوسع نطاق، وبكلّ أريحيّة دون ضابط أو رادع، وبذلك يصبح الإتيان بالمعاصي أمرًا مقبولاً وطبيعيًّا، لا بل تَرْكُها سيكون محطّ استهزاء وسخرية كما ذكرنا سابقًا في مبحث البيئة الفاسدة.

ثانيًا: دور الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر في السنن الإلهيّة والقوانين التكوينيّة في المجتمع التي عرفناها مِن خلال سياق الآيات القرآنيّة، حيث وعد اللّه تعالى المجتمعات التي يسودها الظلم والفسق والفساد بالهلاك والعذاب والتدمير. نذكر بعضًا مِن تلك الآيات ﴿**وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا**﴾[سورة الكهف: ٥٩]، (**فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ**﴾[سورة الحج:٤٥]، ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن**

---

١ - الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٣٦.

نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[سورة الإسراء: ١٦].

ليس مِن الضروريّ أنْ يأتي كلّ أفراد هذه المجتمعات بالمعاصي، لكنَّ جميعهم قد يتأثّر بها بحكم سكوتهم عنها، ويتلبّسون بها بحكم رضاهم بها، فعن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: «... ومَنْ رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنَّ رجلاً قُتل بالمشرق، فرضي بقتله رجل بالمغرب، لكان الراضي عند اللّه عزّ وجلّ شريك القاتل ...»[١].

ثالثًا: لا تنحصر سلبيّات ترك الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر على المجتمع فقط، بل تنعكس أيضًا على مَنْ كان مؤهّلاً للقيام بها واختار تركها، فتحطّ مِن قدره وتبعده عن رحمة اللّه، فعن رسول اللّه (ص): «إنّ اللّه عزّ وجلّ ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر»[٢].

---

١ - العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٢٩٥.
٢ - الكليني، الكافي، ج٥، ص٥٧.

● **رابعًا: النزعة الفرديّة والليبراليّة وضعف الأمر والنهي**

إنّ مِن آثار التغريب المدمّرة على المجتمعات الإسلاميّة انتشار النزعة الفردانيّة (Individualism)، وهي تعني الرؤية الاجتماعيّة التي تُعلي مِن قيمة الفرد المعنويّة وتجعل أهدافه ورغباته، بل شهواته ونزواته، في مكانة أعلى مِن أفكار مجتمعه وقضايا أمّته. وعليه، فإنّها تَعتبرُ أيَّ إلزام للفرد بمسؤوليّات وواجبات نحو القضايا الاجتماعيّة الكبرى انتهاكًا لخصوصيّته وتقييدًا لحريّته، وبالتالي تَعتبِر الفردانيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انتهاكًا صارخًا لخصوصيّة الفرد وتعدّيًا على حريّته. ومع انتشار ثقافة التغريب المدمّرة على مجتمعاتنا، بدأ الأفراد المستغربون بمحاربة هذه الفريضة إلى أنْ وصلنا اليوم إلى مجتمع تكاد هذه الفريضة تكون معدومة فيه.

إنّ غلبة النزعة الفردانيّة على بعض أفراد مجتمعنا تدفعهم إلى التأفّف مِن أيّ تدخّل مِن قبل المجتمع الإيمانيّ لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر تحت شعار «أنا حرّ»، كما أنّها تؤدّي إلى ضعف قيام بعض المؤمنين بهذه الوظيفة تحت شعار احترام حريّة الآخرين في ممارسة أسلوب الحياة الذي يختارونه، وبالتالي فإنّها تؤثّر **أوّلا** عليهم كأفراد، حيث يضعف عندهم حسّ المسؤوليّة الدينيّة- الاجتماعيّة، كما أنّ مشاهد الانحطاط الأخلاقيّ تصبح طبيعيّة بالنسبة إليهم حيث تعتاد

أعينهم على مشاهدتها.

وثانيًا: تؤثّر على الآخرين بأنّها تمنحهم فرصة لممارسة الانحرافات الأخلاقيّة دون سلطة رقابة اجتماعيّة مِن المجتمع الإيمانيّ.

وثالثًا: تنعكس على المؤمنين الذين تخلّوا عن القيام بمهمّة الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر، وذلك بأنْ يشملهم العقاب الإلهيّ بالحرمان مِن البركات والنعم، إذ إنّ العقاب نزل على المجتمع الذي تخلّى عن هذه الفريضة أو ضعفت فيه، لا يصيبنّ الذين ظلموا خاصّة، بل يشمل كلّ الأفراد إما لتخليّهم وإما لرضاهم. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتعارضان مع قيمة الحريّة كما أقرّتها الرؤية الإسلاميّة، فهناك فرق كبير بين الحريّة وبين الفوضى أو التعديّ على حقوق المجتمع المؤمن، فالحريّة لا تعني التحرّر مِن أيّ قوانين وأعراف، فكلّ حريّة هي مقيّدة بالقوانين، فحتّى المجتمعات الغربيّة العلمانيّة والليبراليّة تتقيّد فيها الحريّة بقوانين الدولة، والأمر بالمعروف هو دعوة أفراد المجتمع الإيماني إلى العمل في ضوء القانون الإلهي الذي مِن المفترض أنّهم ينتمون إليه، فكيف تكون الدعوة إلى الالتزام بالقانون ضدّ الحريّة مع أنّ الحرية مقيّدة بالقانون؟!!

● **خامسًا: الأمر والنهي ونموذجي: السفينة والجسد الواحد**

يطرح الشيخ السبحاني مثالاً لطيفًا هنا، حيث يقول إنَّ الرسول

صلى اللّه عليه وآله «يُشبّه المجتمع بسفينة ذات طبقتين وبين أهلهما تخاصم، فيريد سكّان الطبقة السفلى ثقب تلك الطبقة مِن السفينة بحجّة أنّه يثقب ما يتعلّق به، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقِّ هؤلاء: «فإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعًا، وإن تَركوهم غرقوا جميعًا»[١]. ويتمثّل قول الرسول فيمَن يتعاطى توزيع المواد المخدّرة بين الشباب وغيرهم عملاً بحجّة الحرية، فعامّة العقلاء لا يقبلون تلك الحجّة، ويصدق عليهم قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)»[٢].

فمن المعروف أنّ عدوى الفساد تنتقل إلى الآخرين بشكل أسرع مِن عدوى الصلاح، فمثلاً يمكن أنْ يؤثّر الصديق الصالح في صديقه، ولكنَّ قوّة هذا التأثير لا تقارن بقوّة تأثير أصدقاء السوء بعضهم على البعض الآخر؛ لأنّ الفساد يحاكي الغرائز والشهوات، فهو أسرع في التأثير لعدم حاجته إلى جهاد نفس. ولذا، يعتبر غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسكوت عن الفساد الاجتماعي أحد العوامل التي تزيد مِن نسبة عدوى الفساد وانتشاره في المجتمع.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يتضمّن وظائف عدّة:

---

١ - البخاري، صحيح البخاري، ج٣، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ص١٣٩.
٢ - جعفر السبحاني، الإيضاحات السنيّة للقواعد الفقهيّة، ج١، ص٤٢٤.

الأولى: المساهمة في بناء المجتمع الصالح.

والثانية: تهيئة البيئة الرادعة عن استسهال ممارسة المعصية، ووقاية المجتمع مِن الفساد والانحطاط الأخلاقي.

والثالثة: إشعار الأفراد بوجود الرقابة الاجتماعيّة على سلوكهم الفاسد.

وهناك تشبيه لطيف آخر يشرحه أحد الأطباء بأنّ حال المجتمع الإسلاميّ كحال الجسد الواحد، وأفراده كالأعضاء والخلايا، فإذا أصيب أيّ عضو مِن أعضاء جسم الإنسان بمرض أو جرح... فإنّه يصدر شكوى عصبيّة حسّيّة على هيئة استغاثة إلى الدماغ، فيصدر الدماغ أمراً لباقي الأعضاء المتحكّمة في عمليّات الجسد بإسعاف العضو المصاب وإغاثته، فيدعو بعضها بعضًا.. فمراكز الإحساس تدعو مراكز اليقظة والتحكم في المخّ، وهذه تدعو بدورها الغدّة النخاميّة لإفراز الهرمونات، التي تدعو باقي الغدد الصمّاء لإفراز هرموناتها، التي تدعو وتحفّز جميع أعضاء الجسم لنجدة العضو المشتكي. ومعنى التداعي هنا أنْ يتوجّه كلّ جزء في الجسد بأعلى قدر مِن طاقته لنجدة المشتكي وإسعافه... وهي صورة مِن صور التعاون الجماعيّ لا يمكن أنْ توصف بكلمة أبلغ مِن التداعي[1]، التي وردت

١ - أنظر: عبده، فوائد الحمّى وعلاجها معجزة نبويّة، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة، ص٤-٥.

في الحديــث النبوي الشريف: «مثل المؤمنــين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشــتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[1].

١ - البخاري، صحيح البخاري، برقم: ٦٠١١. والنيسابوري، صحيح مسلم، برقم: ٢٥٨٦.

الفصل الخامس:

سبل مواجهة عوامل الانحطاط الأخلاقيّ

● **أوّلاً: مواجهة الإلحاد**

■ بيـان مخاطـر هذه الظاهـرة على المسـتويين الفـرديّ والاجتماعيّ والتحذير منها مِن حيث أنّ أسلوب حياة الملحد لا يؤدّي بالإنسان إلّا أنْ يعيش في دوّامة الاضطراب النفسيّ والقلق الوجوديّ.

■ الدخـول في مواجهة مبـاشرة مع الملحدين ومناقشـتهم وبيان وهن الفكر الإلحاديّ وسطحيّته.

■ البـدء بالتربيـة العقائديّة السـلمية لأبنائنا وبناتنا منـذ مرحلة الطفولة المبكرة لصقل شـخصيّتهم بما يمكّنهم مِن عدم التأثّر بارتدادات الموجة الإلحاديّة.

■ متابعـة المراهقـين وتصويبهـم عقائديًّا بالإجابة عن جميع الأسـئلة والشـبهات التي تدور في ذهنهـم، وإنْ لم يكن لدى الأهل العلم الكافي للإجابة، فينبغي عليهم عدم التقصير والإهمال، بل الاسـتعانة بأهل العلم والمتخصّصـين في هذا المجـال؛ وذلك تجنّبًا للإجابـات الخاطئة التي غالبًا ما تحرف المراهق أكثر فأكثر وتعمّق الشـبهات الموجودة مسبقًا في ذهنه.

■ تنظيـم المؤسّسـات الدعويـة الدّينيّـة التي تعنى بتأهيـل المراهقين

والشباب وتعرّفهم على دينهم بأساليب علميّة وعقلائيّة.

■ تأهيل أئمّة المساجد بنحو يمكّنهم مِن مواجهة الفكر الإلحاديّ والإجابة عن أسئلة روّاد المسجد مِن الشباب.

■ وضع برامج خاصّة بمواجهة الإلحاد والتعريف بمخاطره في المدارس والمؤسّسات الكشفيّة المعنيّة بتربية الجيل الجديد.

● **ثانيًا: مواجهة العلمانيّة**

■ تجديد الخطاب الدّينيّ: إنّ مِن أبرز أسباب انتشار العلمانيّة، يكمن في خطابها المغلّف بغلاف القرب مِن الشباب وتحقيق إرادتهم وصيانة حرّياتهم، هذا الخطاب الجذّاب والدعاية الزائفة لفتت أنظار وعقول الشباب. وعندما نتحدّث عن تجديد الخطاب الدينيّ، فبالطبع نحن لا نتحدّث عن تغيير المضمون، إنّما تغيير اللّهجة وأسلوب التعبير وكيفيّة تقديم الأفكار بطريقة جذّابة ومحبّبة، فالإنسان الحديث المعاصر -غالبًا- لم يعد ينجذب إلى الأساليب والاصطلاحات التقليديّة القديمة، لذا يجب على الخطباء المسلمينّ ومَنْ هم في موقع الدعوة أنّ يركزّوا أكثر على الفنّ الدعائيّ الحديث، كما ومخاطبة الشباب بلغةٍ تحاكي حاجاتهم وهمومهم وتتناغم مع آمالهم وطموحاتهم في عصرنا هذا.

■ تنقية التراث الدّينيّ: وهنا يأتي دور العلماء في إعادة النظر والمراجعة في الأحاديث والتفاسير القرآنيّة وتنقيتها مِن الأمور التي تعارض العقل

القطعي التي توارثت تاريخيًّا عبر دسّ الإسرائيليّات في التراث الإسلاميّ، وسدّ باب الحجج أمام مَنْ يدّعون العلمانيّة والتعقّل.

■ بناء دول إسلاميّة: قد يبدو هذا الهدف للوهلة الأولى بعيد المنال، إلّا أنّه مِن خلال تكاتف العلماء وتوحّدهم تحت راية الإسلام تاركين جانبًا الاختلافات العقائديّة أو الفقهيّة أو الخلافات الشخصيّة استجابةً لدعوة اللّه تعالى؛ حيث قال: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾[سورة آل عمران: ١٠٣]، هذا التكاتف لا بدّ أنْ يشكّل قوّة عظمى لمجابهة العلمانيّة. ولتقريب هذا الهدف مِن الأذهان، لا بدّ مِن استحضار ثورة الخمينيّ العظيم التي أطاحت بالنظام البهلويّ العلمانيّ، تلك الثورة التي واجهت ما واجهت مِن المصاعب وأخذت وقتًا لتحقيق هدفها إلّا أنّها آتت أكلها في النهاية، نتيجةً لتوّحد العلماء تحت راية الإسلام العظيم والإيمان المطلق بالوعد الإلهيّ الذي جاء في القرآن الكريم: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[سورة الأنبياء: ١٠٥]

● ثالثًا: مواجهة الشذوذ والمثليّة الجنسيّة

- العمل على توعية الشباب وتبيان خطورة هذه الظاهرة بجميع الوسائل والأساليب الممكنة، خصوصًا في الجامعات والمدارس.

■ العمل اجتماعيًّا على تصنيف الشذوذ كظاهرة طارئة وغريبة على مجتمعاتنا وغير مقبولة، وذلك مِن أجل تهيئة مجتمعٍ لا يسمح للشاذّين بممارسة سلوكيّاتهم المنحرفة.

■ إنشاء المؤسّسات والمنظّمات المعنيّة بتقديم المساعدة اللازمة للمبتلين منهم بتلك الأمراض، على أنْ تشمل جانبي العلاج الطبيّ والنفسيّ.

■ العمل على التأهيل العقائديّ للمبتلين منهم، مِن خلال تبيان مخالفة الشذّوذ لمقتضى الطبيعة البشريّة والفطرة الإنسانيّة السليمة التي خلق الله تعالى الإنسان عليها، ودلائل حرمة الشذوذ وخروج المبتلى به عن زيّ العبوديّة للّه تعالى.

■ التأهيل الروحيّ لهم ومساندتهم معنويًّا مِن خلال برامج خاصّة تساعدهم على ممارسة الجهاد الأكبر وهوى النفس.

■ العمل سياسيًا وحقوقيًّا على سنّ قوانين تجرّم الشذوذ والمثليّة في دول عالمنا الإسلاميّ، وذلك مِن أجل الحدّ مِن انتشاره بشكلٍ علنيٍّ في المجتمع.

● رابعًا: مواجهة الماديّة وثقافة التغريب

■ تربية المجتمع على الثقافة الإسلاميّة وتمكينه مِن عقائدها الأساسيّة بحيث تحصّنه مِن خروقات الماديّة الغربيّة، وتسليط الضوء على مدى

تفاهة الفلسفات الماديّة وسخافة أفكارها.

■ استحضار النزعة الغيبيّة في ميادين الحياة مِن قبل القائمين على تربية المجتمع -مثل رجال الدّين والمحاضرين وخطباء المنابر- والمعنى المقصود أن يربّوا الناس على التخطيط في ضوء الأهداف الإلهيّة وعدم الاقتصار على النظر إلى الأمور مِن منظار ماديّ- فيزيقي محض، كما لو أراد شاب ما الإقدام على الزواج، فتارة ينظر إلى الزواج مِن منظار مادّي بحت، فإنّه سيخطّط بطريقة تضغطه فيها حسابات إمكاناته الماليّة أو غيرها، وتارة ينظر إليه بعين إلهيّة قد وعدت المُقبِل على الزواج بالرزق والتوفيق وفتح أبواب اللّطف، على أساس أنّ اتّخاذ الأهل والزوجة هو أرزق للإنسان كما جاء في الحديث النبويّ الشريف.

وكذلك استحضار النزعة الغيبيّة في تفسير الأحداث والوقائع وعدم الاقتصار على رؤيتها في ضوء الأسباب الماديّة المحضة، فقد يكون حدثٌ ما هو ناتج ابتعاد الناس عن طاعة الله تعالى وغرقهم في مستنقع المعاصي، كما ورد في العديد مِن الروايات التي توضح أنّ للطاعات والمعاصي دورًا في القبض والبسط، فقد يبتلي الله تعالى مجتمعًا ما بالفقر أو تسلّط الحاكم الجائر، بسبب عدم نصرته للحقّ والوقوف إلى جانبه.

■ فهم أساليب الغرب في نشر ثقافته واعتمادها أساليبه نفسها في محاربته بقلب السحر على الساحر، مع الحذر مِن الوقوع في الأساليب

غـير المشروعة منها في رحلـة المواجهة؛ لأنّ الغاية لا تُبرر الوسـيلة في ضوء الرؤية الإسلاميّة.

■ حضور الأفراد المنتمين إلى الفلسـفة الإلهيّة الإسـلاميّة في الميادين الدعائيّـة والعلميّـة والثقافيّـة وغيرهـا بهـدف التصدّي للأفـكار الماديّة المنحرفة.

■ التشـهير بالمسـتغربين الّذين ينشرون هذه الثقافـة، بحيث ننزع منهم القدرة على التأثير ونشر أفكارهم، وذلك بحسـب قدرة كلّ فرد. فلا شـكّ -مثلاً- في أنّنا قادرون على ذلك عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ المتوفّرة في متناول يد الجميع تقريبًا.

● خامسًا: مواجهة القوّة الناعمة والغزو الثقافي

■ تعريـف المجتمع عـلى القـوّة الناعمة والغـزو الثقافيّ وأسـاليبهما الواضحة والخفيّة التي تهدف إلى التأثير على العقول وجذب النفوس.

■ التحذيـر مِن منظّمات المجتمع المـدنيّ المدعومة مِن الدول الغربيّة وفضح مخطّطاتها وبرامجها.

■ العمل على خلق النموذج الحضاري الإسـلاميّ الّذي يُشـكِّل عنصر جـذب للمسـلمين، بنحو يحصّنهم مِـن الانجذاب إلى النـماذج الثقافيّة الأخرى التي تتعارض مع عقيدتنا وثقافتنا وقيمنا.

■ تعزيز النزعة الاستقلاليّة والسعي إلى تحصيل الاكتفاء الذاتيّ، بحيث لا تصبح مجتمعاتنا مرهونة لما يُصدَّر لها مِن السوق الغربيّة.

■ الاهتمام بالمناهج التعليميّة والتربويّة عبر التحذير مِن تغلغل الأفكار والأجندات الغربيّة في مراكزنا التربويّة ومؤسّساتنا التعليميّة، والعمل على إدخال قيمنا الثقافيّة والحضاريّة والدينيّة في المناهج التعليميّة في دولنا العربيّة والإسلاميّة.

● سادسًا: مواجهة وسائل الإعلام والتلفزيون

■ إدخال مادّة «التربية الإعلاميّة» على مؤسّساتنا التربويّة والتعليميّة والمعاهد الدينيّة والحوزات العلميّة، والتي تهدف إلى تنمية الحسّ النقدي عند الشباب في كيفيّة التعامل مع المادة الإعلاميّة التي يتلقّاها، فيصبح قادرًا على التمييز بين الغثّ والسّمين، فلا يقع تحت تأثير تلاعب تلك الوسائل بالعقول وغسل الأدمغة.

■ فضح مخطّطات العدو الإعلاميّة بدسّه السّم في العسل في المواد الإعلاميّة التي يبثّها في وسائل إعلامه التي تخاطب مجتمعاتنا، وكشف أساليبه في تأثيرها على عقائد الشباب واتجاهاتهم وآرائهم.

■ العمل على إنتاج مسلسلات تلفزيونيّة وأفلام سينمائيّة تتناسب مع مفاهيمنا وقيمنا وتعاليمنا.

■ العمل على ترجمة ودبلجة الأعمال التلفزيونيّة والسينمائيّة التي تنتجها الدّول الإسلاميّة مثل إيران، وثمّة تجارب ناجحة في هذا المجال كمسلسل النبيّ يوسف عليه السلام، ومسلسل المختار الثقفيّ، ومسلسل الإمام الرضا عليه السلام وغيرها.

■ تثقيف الجمهور عامّةً على مخاطر المسلسلات المدبلجة أو تلك التي تنتجها بعض الشركات العربيّة بهدف تسطيح الوعي وتسفيه القيم الاجتماعيّة والترويج إلى الفساد الأخلاقيّ.

■ السعي إلى تأليف كتيّبات خاصّة تحت عنوان: «فقه الإعلام»، تتضمّن مواقف المراجع العظام مِن المادّة الإعلاميّة الفاسدة، والتي تؤدّي مشاهدتها إلى الانحراف والوقوع في الفتنة.

● سابعًا: مواجهة وسائل التواصل الاجتماعيّ

■ التعريف بإيجابيّات وسلبيّات وسائل التواصل الاجتماعيّ والإعلام الجديد، ففي الإيجابيّات مثلاً أنّها تجعل الإنسان متكيِّفًا مع البيئة التكنولوجيّة في عصر الحاجة إلى التكنولوجيا للدراسة والعمل والبحث، والاطّلاع على المستجدات، والترويج للثقافة الإسلاميّة، والدفاع عن قضايا الأمّة كقضيّة فلسطين مثلاً، والتفاعل مع الآخرين والأصدقاء... وفي السلبيّات مثلاً أنّها قد تؤدّي إلى التفاعل مع الصفحات التي تؤثِّر

سلبًا على إيمان الإنسان وقيمه الاجتماعيّة.

- تنظيم وقت النشـاط على وسائل التواصل الاجتماعي بنحو لا يجعل الإنسان منشغلاً عن القيام بواجباته الاجتماعيّة والأسريّة والدينيّة.
- حسـن اختيار الصفحـات والمواقع التي يتمّ التفاعـل معها، والحذر مِن التفاعل الإيجابيّ مع صفحات المؤثّرين الّذين يعرضون المواد التافهة والمحرّمة، أو الأفكار والقيم التي لا تتناسب مع عقيدتنا وقيمنا.
- مراعاة الضوابط الشرعيّة والأخلاقيّة في النشاط على وسائل التواصل الاجتماعـي، كالحذر مِـن ضغط زر الإعجـاب على صورة امرأة سـافرة ومتبرّجة مثلاً، أو تواصل المتزوّجة مع الأجانب...إلخ.
- تكثيف حضور علـماء الدين والمتخصّصين في المجالات المختلفة على وسـائل التواصل الاجتماعيّ من أجل سدّ منطقة الفراغ الحاصلة في النشاط العلمائيّ على هذه الساحة.
- تدريـب وتأهيـل علـماء الدِّيـن الناشـطين عـلى وسـائل التواصل الاجتماعي في كيفيّة اسـتخدام هذه الوسـائل مِن حيث الأسلوب، واللّغة الشبابيّة، وأدوات التعبير، وفهم سيكولوجيا المُخاطَب.
- تحفيز المؤمنين على تجنّب الدخول في مناقشـة موضوعات ساذجة والتجادل حولها.
- العمـل على تكثيف حضور الصفحات التي تروّج للثقافة الإسـلاميّة

وتجيب بأسلوب جذّاب ومقنع عن الأسئلة والشّبهات التي يطرحها الشباب عادة.

■ تحذير المؤمنين مِن نشر وترويج المواد التي لا تنسجم مع عقائدنا وقيمنا.

■ تحذير المؤمنين مِن الوقوع في فخّ مبدأ حريّة التعبير عن الرأي، فينشرون المواد التي تستلزم هتك المؤمنين وفضح خصوصيّاتهم ومشكلاتهم الخاصّة.

● **ثامنًا: مواجهة سلبيّات الألعاب الإلكترونيّة:**

■ تنبيه الشباب على تنظيم وقت اللّعب بنحو لا يؤثّر في باقي أنشطته المهمّة.

■ تحفيز الشباب على المشاركة في أنشطة مفيدة أخرى ترفّه عنهم وتسليّهم، كالرياضة والمطالعة المثمرة والعلاقات مع الأصدقاء الطيّبين وقضاء الوقت معهم.

■ التوجيه الذكيّ مِن قبل المربّين والمشرفين على حسن اختيار الألعاب التي لا تتضمّن ما هو مخالف لقيمنا ومفاهيمنا.

■ تثقيف الشباب على ضرورة الانتباه إلى هذا السمّ العقائدي والأخلاقي الذي تدسّه هذه الألعاب في عسل الترفيه والتسلية.

■ سعي الدول الإسلاميّة أو الشركات الاقتصاديّة الإسلاميّة لتمويل مشروعات قادرة على إنتاج ألعاب جذّابة تتناسب مع مفاهيمنا وقيمنا.

● تاسعًا: مواجهة أساليب التربية السيّئة

■ تنمية حسّ الشعور بالمسؤوليّة تجاه البناء السليم لشخصيّة المتربّين، ليس في القضايا التي تتعلّق بحياتهم الدنيويّة ومستقبلهم العلميّ والمهني أو الاجتماعيّ، بل أيضًا -وهو الأهمّ- ما يتعلّق بالدّلالة على الله عزّ وجلّ والإيمان والعمل الصالح، فقد ورد في رسالة الحقوق عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «أمّا حقّ ولدك:

فأنْ تعلم أنّه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه.

وأنّك مسؤول عمّا وُلّيته من حسنِ الأدب.

والدلالةِ على ربّه عزّ وجلّ.

والمعونةِ على طاعته.

فاعمل في أمره عمل مَنْ يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه»[1].

■ تثقيف المربّين على إعادة النظر في رؤيتهم التربويّة وأساليبهم التربويّة

---

١ - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦٢٢.

التـي يعتمدونهـا في التعامل مع المتربّين، وأنْ يخضعوا بشـكل مسـتمرّ لدورات تأهيليّة وتدريبيّة لتنمية المعارف والمهارات التربويّة.

■ العمل عـلى تربية النفس وتهذيبها؛ لأنّ تربيـة الآخرين تبدأ من تربية النفس، وجعلها نموذجًا خاصًّا يحاكونها ويقلّدونها في تصرّفاتها وأفعالها.

■ الاسـتفادة مـن المتخصّصـين في مجـال التربيـة واللجـوء إليهـم لاستشارتهم عند أيّ مشكلة تربويّة تواجه المربّين في العمليّة التربويّة.

■ الالتـزام بالقوانين الدينيّة والفطريّـة والعقلائيّة في العمليّات التربويّة، والحـذر من الانسـياق خلف الانطباعات الشـخصيّة والأمزجـة والثقافة الالتقاطيّـة أو الشرائـع الوضعيّة والقوانين الدوليّـة التي تتعارض مع روح الشريعة الإسلاميّة.

■ محاولـة المربّين اجتناب إظهـار الفعل الخاطئ أمام المتربّين؛ أي أنْ يعمد المربيّ إلى إخفاء عيوب نفسه عن عيون المتربيّ.

يقول السـيّد الخميني: «لـو فرضنا أنّ الأبوين ليسـا متّصفين بالأخلاق الحسـنة والأعمال الصالحة، لكنْ لا بدّ من أنْ يُظهرا في نفسيهما الصلاح أمـام الأطفال ليكونـا عمليًّا مهذّبين ومربّين، ولعلّ هذا بنفسـه يكون مبدأ لإصلاح الأبوين؛ لأنّ المجاز قنطرة الحقيقة، والتطبّع طريق الطبع»[1].

---

١ - الخميني، جنود العقل والجهل، ص١٤٢.

■ حسن اختيار البيئة الحاضنة للنمو الصالح للمتربّين، سواء أكانت المدرسة أم الجمعيّة الكشفيّة أم النادي الرياضي أم مكان السكن والإقامة.

■ تحمّل الحكومات الإسلاميّة مسؤوليّاتها في وضع فلسفة تربويّة للمجتمع تنسجم مع الكتاب والسّنة، وتدوين الوثائق الخاصّة في هذا المجال، والتي تنبع مِن روح الشريعة الإسلاميّة، وهذا ما يمكن استشعاره مِن قول أمير المؤمنين عليه السلام بعنوان كونه حاكماً ورئيساً أعلى للدولة: «فأمّا حقكم عليّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا»[1]. وفي عهده إلى مالك الأشتر قال عليه السلام: « هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها ...»[2].

ويقول السيّد الخميني في بيان الأسباب الموجبة لحكم العقل بضرورة وجود حكومة ودولة: «... إنَّ لزوم الحكومة [أي السبب الموجب لتأسيسها وتشكيلها هو:] لبسط العدالة، والتعليم والتربية، وحفظ النظم، ورفع الظلم، وسدّ الثغور، والمنع عن تجاوز الأجانب، مِن أوضح أحكام

١ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٨٣.
٢ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج١، ص٨٤.

العقول، مِن غير فرق بين عصر وعصر، أو مصر ومصر»[1].

● عاشرًا: مواجهة البيئة الفاسدة والمنحرفة

■ تحرّر المؤمن مِن عادات وتقاليد المجتمع غير الحميدة، والتي لا تنسجم مع القيم الإسلاميّة. والتفكير فيما يريده هو مِن هذه الحياة في ضوء تعاليم دينه، والدفاع عن حقّه في رفض ما يفرضه عليه الآخرون مِن أفكار وعادات وغيرها.

■ البحث عن الصالحين في المجتمع ومخالطتهم، فإنْ لم يجد، فالعزلة ستكون حلاً أفضل له مِن مصاحبة الفاسدين.

■ بناء عقيدة متينة وإرادة صلبة تمدّ الفرد المؤمن بالقوّة اللّازمة لمجابهة المجتمع الفاسد.

■ أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وذلك للحدّ مِن سفالة الفسّاق ومنع انتشار فسادهم في المجتمع.

■ بناء بيئة محافظة على الضوابط الشرعيّة ومراعية لأوامر اللّه عزّ وجلّ بهدف استقطاب الشباب المؤمن للعيش في تلك البيئة، حيث مِن المفترض أنْ يحظوا بالأريحيّة لممارسة حياتهم الدينيّة.

---

١ - الخميني، كتاب البيع، ج٢، ص٦٢٠.

■ تجنّب السكن والإقامة في البيئة غير الصالحة التي يكثر فيه حضور الأشخاص الفاسدين.

■ تنبيه المؤمنين المقيمين في البلاد غير الإسلاميّة على حرمة البقاء في تلك البلدان حال العلم بأنّ البقاء فيها يؤدّي إلى نقصان دينه أو دين أولاده.

■ حسن اختيار المدرسة المناسبة التي تربيّ الأولاد على المنهج الإسلاميّ.

■ تحذير الأولاد مِن اتّخاذ أصدقاء السّوء، وتحفيزهم على مصاحبة ذوي الأخلاق الحسنة.

■ العمل على مواجهة التيّارات المنحرفة المنتشرة في بيئتنا الاجتماعيّة.

● حادي عشر: مواجهة الاختلاط

■ التزام المؤسّسات التربويّة والتعليميّة بالضوابط الشرعيّة والأخلاقيّة والتربويّة للاختلاط والحدّ منه مهما أمكن، خصوصًا في التفريق بين الطلّاب والطالبات في الصفوف المختلفة.

■ تهيئة بيئة مناسبة للحدّ مِن الاختلاط بين الرجال والنساء في أماكن العمل.

■ إنشاء أماكن ترفيهيّة خاصّة بالنساء، مثل: المسابح، والحدائق العامّة،

والأندية الرياضيّة، وغيرها.

■ التـزام كلٍّ مِن الجنسـين بأداء أدواره في المجتمـع، كأنْ تؤدّي المرأة وظائفهـا داخل منزلها، ويتصدّى الرجل للمسـائل التـي تتعلّق بالخارج، مثل: شراء الحاجات مِن السوق، أو تخليص المعاملات الرسميّة... إلخ.

■ تثقيـف المجتمـع عـلى ضرورة المحافظة عـلى الضوابـط الشرعيّة للاختـلاط، بحيـث لا تنتشر فيـه الزيـارات العائليّة أو التـي تحصل بين الأصحـاب والزملاء بنحـو يبيح الاختـلاط، كأنْ تجلس المـرأة مع أبناء عمومتها وأخوالهـا أو الأصهرة... إلخ، أو يجلس الزوجان مع أصحابهما أو زملائهما تحت عنوان وشعارات العلاقات الاجتماعيّة وصلة الأرحام.

■ توقّـي الحذر مِن الاختلاط الإلكترونيّ الافـتراضيّ، حيث إنّ حكمه الشرعيّ لا يختلف عن الاختلاط الواقعيّ.

■ العمل على حثّ وتحفيز الفتيات على التركيز على الاختصاصات الطبيّة لبناء مجتمعٍ لا تضطرّ فيه المرأة مِن زيارة الأطبّاء الرجال والاختلاط بهم.

■ تخصّص النساء في المجالات التجميليّة التي تلجأ إليها النساء بهدف التزيّن المشروع.

■ المحافظـة على الضوابط الشرعيّة التي تمّ ذكرها في مبحث الاختلاط في حال اضطرّت المرأة إليه (مثل: الحجاب، والقول المعروف، والابتعاد عن الزينة، واجتناب العطر... وغيرها).

● ثاني عشر: مواجهة غياب القدوة الحسنة

■ تعريف الشباب المسلم على الشخصيّات التي تمتلك المزايا والخصائص التي تمكّنها مِن أنْ تكون قدوة حسنة لهم، وإعطاء مكانة بارزة لهم.

■ تحذير الشباب المسلم والمؤمن مِن القدوات السيّئة ومخاطر تقليدهم ومحاكاتهم.

■ تخصيص حيّز مهمّ وكبير في الإعلام لأهل العلم والصالحين، إنْ كان عبر البرامج التلفزيونيّة أو الصحف أو المجلّات وغيرها.

■ تقليص المساحة الإعلاميّة التي يشغلها التافهون.

■ العمل على صناعة نماذج شبابيّة مقتدية بالأخلاق الإسلاميّة وسيرة أهل البيت عليهم السلام، وإطلاقهم في الفضاء الافتراضي وعلى شاشات التلفزة ووسائل الإعلام.

■ تركيز الجهود في الأعمال الدراميّة على سير الأنبياء والأولياء والصالحين، كما والأعمال المختصّة بالأطفال كأفلام الكرتون على سبيل المثال.

■ العمل على رفع المستوى المعرفي والثقافي الدينيّ للمجتمع بهدف تمكينه مِن حسن اختيار القدوة التي تحاكي تطلّعاته وأفكاره الإسلاميّة، واجتناب القدوة السيّئة التي تمثّل الفساد والانحراف.

■ كشف رجال الدّين الفاسدين الّذين يتمتّعون بمكانة خاصّة في

المجتمع تمكّنهم مِن تمرير أفكارهم الباطلة وغرسها في عقول الشباب الّذين -انطلاقًا مِن نيّة حسنة- يتّبعونهم ويقتدون بهم لمجرّد كونهم رجال دين اعتقادًا منهم بصلاحهم.

■ اهتمام الحوزات العلميّة بالبرامج الأخلاقيّة والروحيّة لطلبة العلوم الدينيّة، خصوصًا تلك التي تتضمّن سير الصالحين مِن العلماء والربانيّين، أمثال: السيّد علي القاضي، والعلاّمة الطباطبائي، والشهيد الصدر... إلخ؛ لما لذلك مِن أثر بارز في بناء شخصيّتهم بنحو يمكّنهم مِن أنْ يكونوا قدوة صالحة وحسنة في المجتمع.

● ثالث عشر: مواجهة غياب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

■ تثقيف الأفراد على مخاطر ترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومدى أهميتها في بناء المجتمع الصالح، وتهيئة البيئة الحاضنة لمكافحة الانحراف والفساد ودورهما في التمهيد لدولة صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

■ تنمية الشعور بحسّ المسؤوليّة الاجتماعيّة عند الناس تجاه قضايا المجتمع الإيمانيّ، وبيان مخاطر مقولة: «أنا عليَّ بنفسي ولا علاقة لي بالآخرين».

■ تدريب كادر متخصّص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتزويده بمجموعة مِن المعارف والأساليب والمهارات الخاصّة لممارسة هذه الفريضة بنحو مؤثِّر في المجتمع.

■ تحفيز الشباب على الالتزام بضوابط وآداب الأمر والنهي، والتحلّي بالصفات التي تؤهّلهم للقيام بهذه المهمّة، كالصبر ورحابة الصدر والقدرة على تحمّل التحديات التي يواجهونها في أثناء تأدية هذه الفريضة، كالاستهزاء والسخرية وبذاءة لسان الآخرين.

■ تعريف الناس على أنّ فريضة الأمر والنهي غير خاصّة بفئة معيّنة، كالعلماء والمشايخ و...بل تشمل جميع أفراد المجتمع.

■ حضور الحوزات العلميّة والمؤسّسات الدعويّة والتبليغيّة في ساحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مستوى تحديد موقف واضح وقويٍّ مِن كلّ الظواهر الفاسدة؛ أي المنكرات الاجتماعيّة العامة كاحتكار التجار وتجارة المخدِّرات و...إلخ.

■ توسعة دائرة المنكرات لتشمل المنكرات السياسيّة، كالفساد الإداريّ والماليّ ومخالفة القوانين و... تأسّيًا بالثورة الحسينيّة التي خرجت لطلب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وجه الحاكم الجائر.

■ تركيز العلماء في خطبهم وأنشطتهم الثقافيّة على ضرورة إحياء هذه الفريضة وحثّ الناس عليها.

- تثقيف الشباب على مخاطر النزعة الفرديّة والليبراليّة -«أنا حرّ»- في إضعاف فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- تحفيز الأفراد على القيام بفريضة الأمر بالمعروف النهي عن المنكر حتّى مع احتمال عدم التأثير مِن أجل خلق بيئة غير آمنة للعاصي، بحيث يشعر بالرقابة الاجتماعيّة الدائمة على سلوكه العام.
- تطوير أساليب وأدوات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتكون قادرة على التأثير في الشباب المعاصر، كالاستفادة مِن وسائل التواصل الاجتماعيّ أو الفيديوهات القصيرة أو...إلخ.
- العمل على سنِّ التشريعات والقوانين الخاصّة التي تعزّز دور الرقابة الاجتماعيّة على الفساد والانحراف.

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

■ أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، ١٤٢٧هـ، ط٢.

■ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتاب العربي.

■ جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، ترجمة عبد المنعم الحنفي، ط٤.

■ جعفر السبحاني: الإيضاحات السنية للقواعد الفقهية، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، ١٣٩٤هـ.

■ جوزيف ناي: القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدوليّة، نقله إلى العربية محمد توفيق البجيرمي، تقديم عبد العزيز عبد الرحمن، مكتبة العبيكان، الرياض- السعوديّة، ٢٠٠٧م.

■ الحسن ابن شعبة الحراني: تحف العقول عن آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم، ١٤٠٤هـ.

■ حسين الطباطبائي البروجردي: جامع أحاديث الشيعة، قم، ١٣٩٩هـ.

■ روح الله الموسوي الخميني: الجهاد الأكبر، ترجمة حسين كوراني، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى، ط٢، ١٤٠٠هـ.

■ ----------: جنود العقل والجهل، تعريب أحمد الفهري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

■ ----------: كتاب البيع، تحقيق ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط١، ١٤٢١هـ.

■ الشيخ إبراهيم بن علي الكفعمي: البلد الأمين والدرع الحصين، مكتبة الصدوق، إيران - طهران، ١٣٨٣هـ، لا.ط .

■ صالح خليل أبو أصبع: الاتصال الجماهيري، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م.

■ عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ابن أبي الحديد): شرح نهج البلاغة، تعليق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

■ عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون (وهي مقدمة الكتاب المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

■ عبد الرحمن العيسوي: دراسات في تفسير السلوك الإنسانيّ، دار

الراتب الجامعية، بيروت، ١٤١٩هـ.

■ عبد الرزاق إبراهيم القاسم: العلاقة بين ممارسة الألعاب الإلكترونيّة والسلوك العدوانيّ لدى طلّاب المرحلة الثانويّة بمدينة الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم النفس، العام الجامعيّ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

■ عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي: غرر الحكم ودرر الكلم، مركز البحث والتحقيق للعلوم الإسلامية، مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلميّة- قم المقدسة، ط١.

■ مايكل كوك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، ترجم النص وراجعه على المصادر وقدّم له الدكتور رضوان السيد، عبد الرحمن السالمي، عمار الجلاصي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط٢، ٢٠١٣م.

■ محمد الريشهري: ميزان الحكمة، دار الحديث، دار الحديث، ط١.

■ محمد باقر الصدر: المرسل- الرسول- الرسالة، تحقيق عبد الجبار الرفاعي، دار سعيد بن جبير، ط١، ١٤١٧هـ.

■ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق إبراهيم الميانجي ومحمد باقر البهبودي، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط٢.

■ محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

■ محمد بن الحسن الحر العاملي: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٤١٤هـ، ط٢.

■ محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، قسم الدراسات الإسلامية-مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤، ط١.

■ محمد بن الحسن الموسوي (الشريف الرضي): نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، تحقيق وتصحيح صبحي الصالح، بيروت، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ط١.

■ محمد بن علي بن بابويه (الشيخ الصدوق): الخصال، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم، ١٤٠٣ه.

■ ----------: من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم، ط٢.

■ محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، تحقيق وتصحيح علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ش، ط٥.

■ محمد تقي الجعفري: العلمانية دراسة وتحليل، ترجمة حسن مطر،

العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، النجف الأشرف- العراق، ط١، ٢٠١٧م.

■ محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم.

■ محمد سيف الدين فهمي: محاضرات في أصول التربية، كلية التربية جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٨م.

■ محمد كاظم اليزدي: العروة الوثقى مع تعليقات عدّة من الفقهاء العظام، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط١، ١٤١٧هـ.

■ محمد يوسف عبده: فوائد الحمّى وعلاجها معجزة نبويّة، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

■ مركز الحرب الناعمة للدراسات، الحرب الناعمة دراسات وتقارير تحليلية، دار المعارف الإسلاميّة الثقافية، ط١، ٢٠١٨م، ص (٤٣-٥٥).

■ مسلم بن الحجاج النيسابوري: الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

■ نمرود بشير: ألعاب الفيديو وأثرها في الحدّ من ممارسة النشاط البدنيّ الرياضيّ الجماعيّ الترفيهيّ عند المراهقين المتمدرسين ذكور (١٢-١٥سنة)، معهد التربية البدنيّة والرياضيّة، الجزائر، ٢٠٠٨م.

■ ياسين أحمد الحجري: هل نضرب أطفالنا لنعدل سلوكهمدار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

المواقع الإلكترونيّة:

■ https://www.aljazeera.net/midan/intellect/philosophy/201719/9/

■ Is religion protective against suicidal behaviour for LGBT individuals? (netecr.org)

■ https://sports.alahednews.com.lb/article.php?id=50296&cid=125

BBC - زواج القاصرات: جمعيات تحارب سلطة رجال الدين في لبنان عربي News

هل ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي في زيادة الخيانة الزوجية؟ BBC News عربي

■ https://www.sistani.org/arabic/qa/0292/

■ https://www.sistani.org/arabic/qa/02126/

■ https://www.sistani.org/arabic/qa/0295/

■ https://www.sistani.org/arabic/qa/0410/

الفهرس

٥ | مقدمة

الفصل الأول | ٩
دور الفكر الماديّ (الإلحاد والعلمانيّة) في الانحطاط الأخلاقيّ

١١ | **المبحث الأوّل** الإلحاد المعاصر وفقدان المعايير الأخلاقيّة

٢٢ | **المبحث الثاني** العلمانيّة والتحرّر من الأخلاق الدينيّة

٢٩ | **المبحث الثالث** أجندات الشذوذ الجنسيّ والجندريّات ومحاربة القيم الدينيّة

٣٤ | **المبحث الرابع** النزعة الماديّة والانبهار بالثقافة الغربيّة

الفصل الثاني |٤٣
تأثير أدوات التلاعب بالعقول على الانحطاط الأخلاقيّ

٤٥ | **المبحث الأوّل** القوّة الناعمة والغزو الثقافيّ

٥٣ | **المبحث الثاني** وسائل الإعلام والإنتاج التلفزيوني والسينمائي

٥٨ | **المبحث الثالث** وسائل التواصل الاجتماعيّ

٦٧ | **المبحث الرابع** سلبيات الألعاب الإلكترونيّة

الفصل الثالث | ٧١
سوء التربية والبيئة الفاسدة

٧٣ | **المبحث الأول** أساليب التربية السيّئة

٨١ | **المبحث الثاني** البيئة الفاسدة والمنحرفة

٨٨ | **المبحث الثالث** الاختلاط غير المنضبط

الفصل الرابع | ٩٩
غياب القدوة الحسنة وفريضة الأمر والنهي

١٠١ | **المبحث الأول** القدوة السيئة وغياب القدوة الحسنة

١١١ | **المبحث الثاني** غياب فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

الفصل الخامس | ١٢١

سبل مواجهة عوامل الانحطاط الأخلاقيّ

١٤٣ | **لائحة المصادر والمراجع**

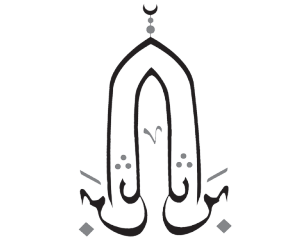

هو مركز بحثي مستقل غير ربحي، مركزه في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والاكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها ذلك الحراك الاجتماعي والانساني الكبير، الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية؛ ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة، سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

يعالــج هذا الكتاب قضيّة في غايةِ الخطورة والأهمّية، وهي العوامل المعاصرة التي تــؤدي بالمجتمع إلى الانحطاط الأخلاقيّ. ويتوقف عنــد دور الإلحاد والعلمانيّة والماديّة والجندريّة والشذوذ في غياب المعايير الأخلاقية؛ ويعرّج على تأثير بعض أدوات القوّة الناعمة (كالمنظمات غير الحكوميّة، والمؤثِّرين على وسائل التواصل الاجتماعــي، والبرامــج الإعلاميّة، والمسلســلات) في التلاعــب بالعقول وغرس القيم الســالبة؛ ويرصد انعكاسات التربية الفاسدة، والبيئة المنحرفة، وغياب القدوة الحســنة على شــخصية الجيل الشــاب؛ ونحاكم ذلك انطلاقًا من مفاهيمنا وقيمنا الإســلاميّة، التي تشــكّل معيار قياس الفســاد والانحلال في المجتمع. وفي نهاية البحث اقترحنا بعضَ ســبل المواجهة، وآليّــات التعامل مع تلك العوامل الخطيرة، في ســبيل إصلاح مجتمعنا، وإنقاذه من الانحــدار الأخلاقي، لما له من آثار مدمّرة علينا، كالغضب الإلهيّ، وخلق موانع من ظهور صاحب الزمان (عج).

• الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز•

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد